بعد الصمت

محمود بدوي

بعد الصمت / قصص

محمود بدوي

الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨

OKTOB NET

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، اش المعهد الديني ، المرج

هاتف : ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧

موبايل : ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ - ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

حاتم عرفة

مها خضير

تدقيق لغوي :

أحمد منتصر

رقم الإيداع : ٢٠٠٨/١٥٢٥٥

I.S.B.N:978- 977- 6297- 35- 7

بعد الصمت

قصص

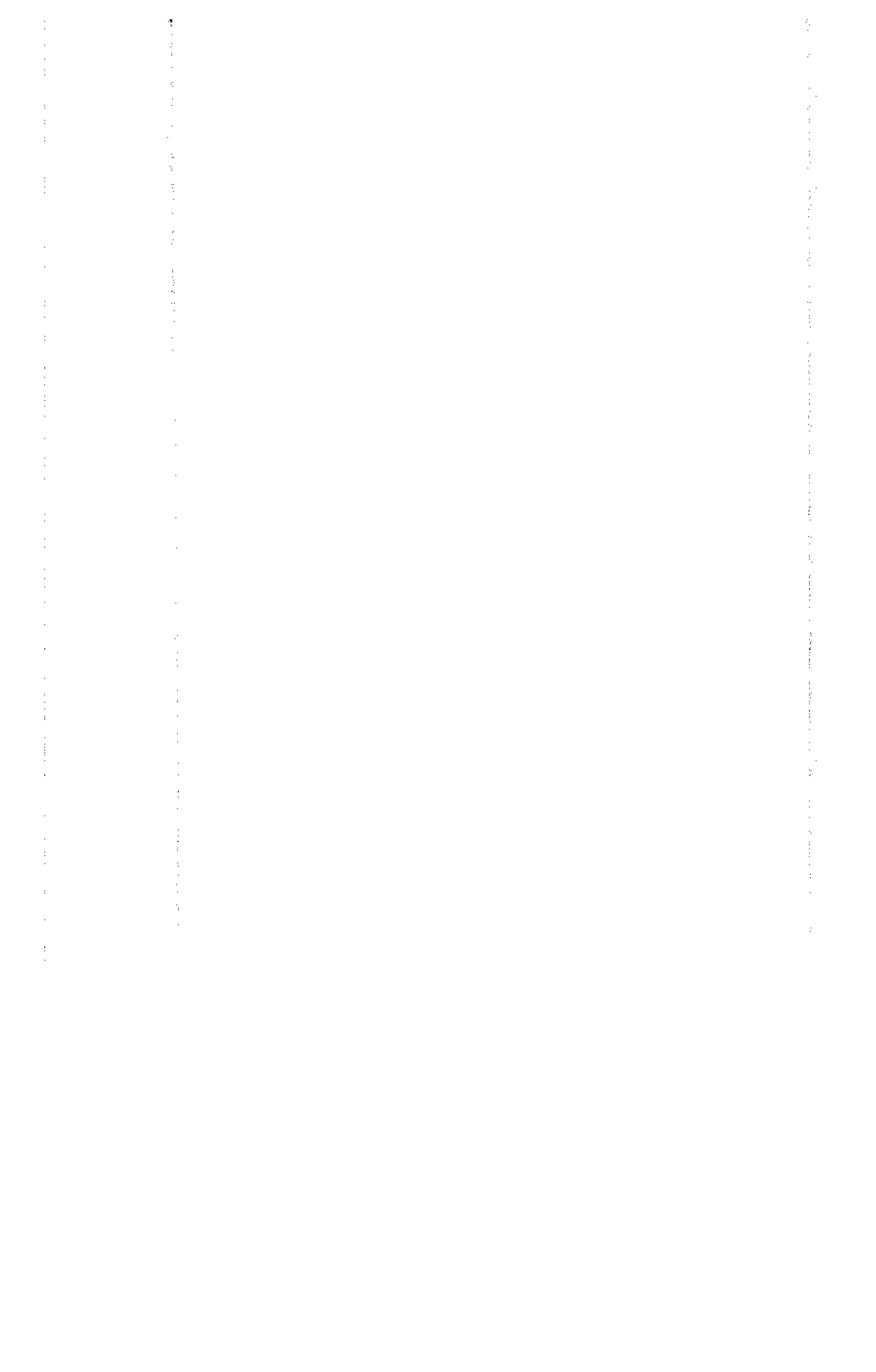
محمود بدوي

الطبعة الأولى

٢٠٠٨



دار اكتب للنشر والتوزيع



إهداء

إليكِ يا حبيبتي.. نعم حبيبتي .. لا أعلم كيف وصل بي
الحال لتصبح تلك هي المرة الأولي التي أصرح لك فيها بحبي

أعرف جيدا.. أنك منزعجة مني .. وربما يصل الأمر لأكثر
من الانزعاج ..!!

أعلم جيدا أنني لطالما نعتّك بالفاشلة .. تسبّبت في حرمانِك
من النوم ليالٍ عدة .. قسوت عليكِ كما لم يقس عليك أحد من
البشر

وأظن أنه قد آن الأوان كي أعتذر .. أربّت عليكِ قليلا،
وأعقد معكِ مصالحة ونجلس سويا لنتسامر

أمّا الآن .. فإليكِ أنتِ فقط .. إليكِ يا نفـــسـي.



عاطفة

أبي الحبيب..رحمك الله :

سعادتي لن تكتمل سوى بتقبيل يديك وأنت تتصفح ما بين دفتي كتابي .

أمي الغالية :

عانيتِ كثيرا بسببي .. ربما الآن أعطيكِ سببا وجيها للافتخار بي .

أخي عمرو عبد الشافي :

موتُك .. أفقدني القدرة على الاستمتاع .. وأكسبني القدرة على القص .

أصدقائي المقربين .. لا أعرف كيف أرُد لكم الدين.

المصائب والابتلاءات والأيام الصعاب .

شكرا لكم جميعا .




سيد هارتا



فؤاد فبريكة هكذا نعتوه منذ نعومة أظفاره المتسخة دائما... منذ أن ولد في هذا النجع ، فكل من يراه يتوقع لـــه مـــستقبلا حافلا ... لذكائه المتقد ، ولقدرته العجيبة على الابتكار ، فلا شيء يقع في يده إلا وبأنامله الدقيقة وإضافاته الثرية تجده يضع به سر الحياة .

لا يتذكر أحد في مرة أنه أخطأ في حل لغز ... أو استغرق فقط بعض الوقت ..!

غالبا ما تجده يحمل في يده اليمنى الأحجية ، واليد الأخرى بعض السكاكر الرخيصة .

" صدق من سماك فبريكة " .. تنهطل على آذانه عـــشرات المرات يوميا .

" فبريكة .....! أخوي وحبيبي .....! "

" مبشككش يا حبيبي ....! الجواب ٢٥ قرش ، والقصيدة ٧٥ ..! "

" لا .. فهمتني غلط .... أنا عايز فكره لانج أعملها مع الجو بتاعي .... ومتخافش حقك محفوظ "

إذا أردت أن تبحث عنه ... فكل ما عليك فعله أن تتبع الإبداع والابتكار ... ، طموحاته وأحلامه ...! كما تخبرك عيناه ليس لهما حدود .

لم يسعفه الحظ يوما بإمكانات ولو بسيطة ... تساعده إلى ما يرمي إليه .. !

عوضا عن ذلك تجده يوميا عند التل الكبير (مقلب الزبالة) يبحث في الماضي والرفات .. ، يفتش عن سلك قديم ...! كتاب منسي ... ، أو ربما قطعة من الخشب يصلح بها سقف كومته .

شحيح الكلام ، لا صديق له ، لا يمتلك دموعا .. ، ولا يكترث لأحد ... عدا عم عربي الذي وجده وهو صغير بجوار كومة للقمامة ... وحبله السري ملفوف حول عنقه !

عشرات الأفكار يدونها .... يخفيها في غرفته تحت أطباق الثرى ... يخاف عليها حتى من نفسه ! لذا لم يخبر أحدا قط عن مكانها حتى عم عربي نفسه .

يعيش على أمل أنه في يوم ما ستتحسن الظروف ... ويجد من يقدر تلك الأفكار ..!

أفكار أفلام ... كاريكـــاتيرات ... عـــلاج لمـــشكلات اقتصادية ... رؤى علميـــة ... حمـــلات إعلانيـــة والعديـــد والعديد..!

أغلق باب غرفته الصفيح خلفه بإحكام ... بعد أن تأكـــد من إخفاء كنـــزه المتمثل في شوال ورق

" طـــال الانتظـــار " برقت عينه بدموع... لولا أنه تذكر أنه لا يمتلك دموعا ...!

حتى لا يعاود الشرود ... أوصل سلك التلفاز الذي كـــان قد جمع أجزاءه بنفسه بحرص في عمود الكهربـــاء المجـــاور ... ضربة مبرحة على أثرها تأتي الصورة الباهتة للتلفـــاز الأســـود وأسود .

جلس على الأرض ... يبلل بعض الخبز اليـــابس ويمـــضغه بصعوبة .

ضحكة ساخرة ... تذكر أنه لا يستطيع تغيير القناة .

غابت الصورة من جديـــد ... لم يكلـــف نفـــسه عنـــاء الضربة... استعان هذه المرة بحذاء قديم كان قد جلبه من التـــل

الكبير وربطه بحبل في السقف ... يدفعه باتجاه التلفاز كلما غابت الصورة .

" إعلان ..! عن برنامج جديد يدعى محكمة ... سيقدم خلال الشهر المقبل ... فكرة البرنامج فريدة من نوعها وجريئة... يأتي ضيف الحلقة وتوجه له بعض الاتهامات ... يوضع خلف القضبان ...! يستدعي الشهود ..! الضيف له الحق في أن يدافع عن نفسه ... في نهاية الحلقة تجتمع هيئة المحلفين ...! وتصدر حكما ... هو بالتأكيد حكما صوريا لن ينفذ ..!!؟

سقطت دموعه على خده الذي يحمل ذقنا غير منتظمة تحمل من ذرات التراب أكثر مما تحمل من شعر ... فعرف أخيرا أنه يمتلك دموعا ...!

تذكر أنه دون هذه الفكرة منذ سنتين ... ومازالت ترافق زميلاتها في كنزه المهجور .

استسلم وبكى أخيرا على حاله ... فؤاد بفانلته الداخلية البيضاء ... الصفراء بحمالة واحدة ... بصوبته التي لا تحميه لا من حراب الشمس ولا من عرق الشتاء ...! أمام نصف تلفاز ...! في نجعه الفقير ...! التابع لتلك المدينة

النائية...! في محافظته البعيدة كل البعد عن العاصمة ... عـــن كل الأضواء ..!؟

جذب السلك من عمود الإنارة ....! فتح باب غرفتـــه .. أغلقه خلفه بإحكام كالعادة .

أخرج ذهبه .. ياقوته .. ومرجانه من الشوال ...! انتـــشل الورقة التي دون فيها فكرة البرنامج ... أحرقها ..!

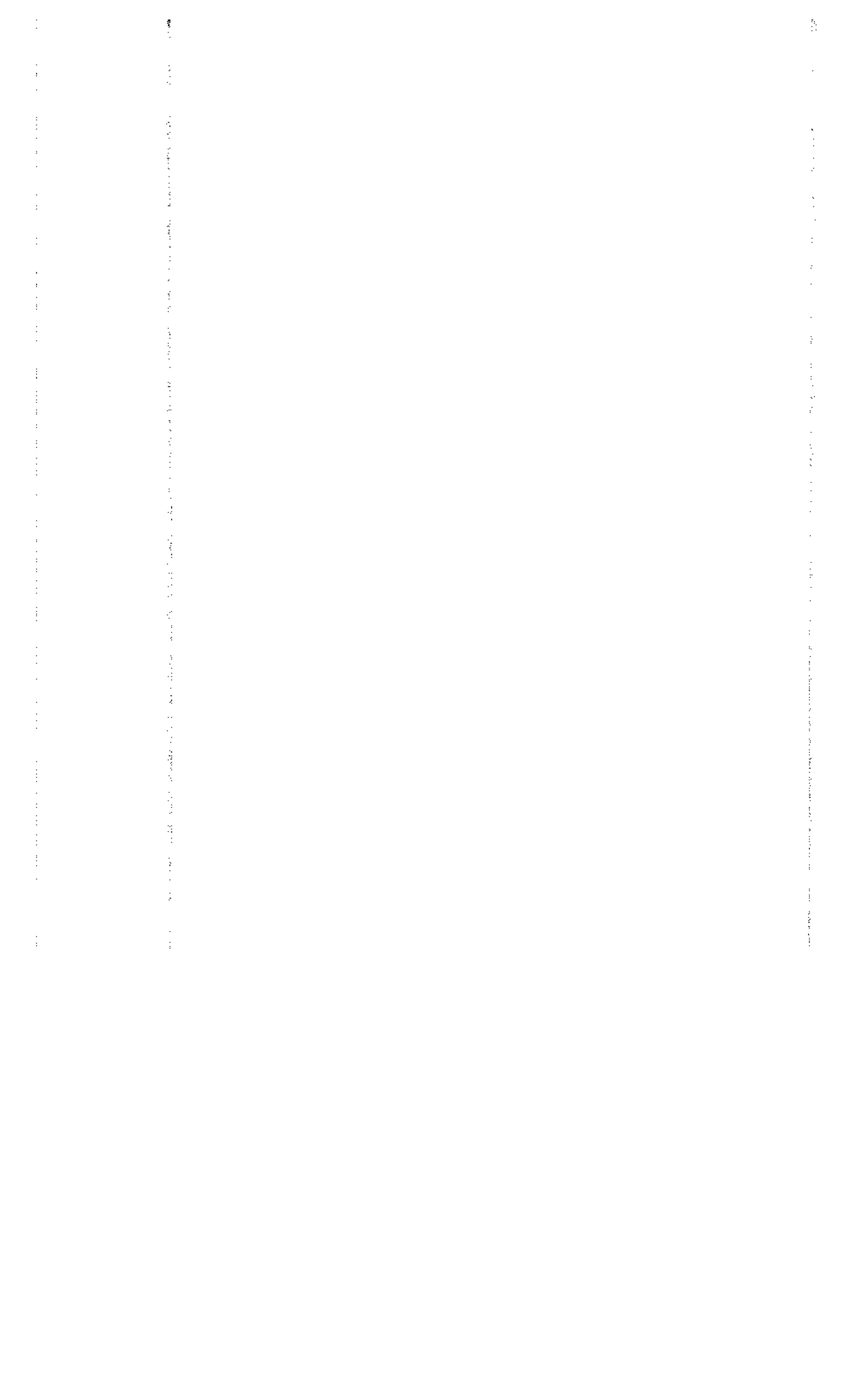
تطلع إلى الحائط المهترئ .. ساعة حائط قمئة لا تحتوي على عقرب للثواني ...! وإطار باللون الكستنائي مخطوط فيه بالخط الكوفي " سيد هارتا " لم يفهم معناها حتى من خطها بيده ... لا يعرف معناها سوى فبريكة ... فـــ" سيد هارتـــا " كلمـــة سنسكريتية معناها " الرجل الذي بلغ هدفه ".

أطال النظر إليها معاودا الشرود ... تذكر عشرات الأوراق التي أحرقها من قبل ....!

ضـم الأوراق الباقيـــة إلى صـــدره ... ! قبـــــّلها ... ! ومـــات .



لا ..... ليس بأبيض



مظلمة .... ساكنة كل الأشياء من حـــولي .... أكـــاد لا أسمع شيئا سوى أصوات أنفاسي المتلاحقة ... وأكـــاد لا أرى شيئا سوى غطائي الذي أتدثر به .... نباح كلاب ... نقيـــق ضفادع يقطع من وقتٍ إلى آخر صمت ليلي ووحـــدتي .... التي لا يسليني فيها سوى حائط الغرفة المهتـــرئ ... والــذي تركت فيه الرطوبة وآثار السنين أشكالا ...!! أتخيلها أحيانـــا أشباحا تكلمني ... شخصيات كارتونية أو ربما كائنات مـــن الفضاء ..!!

أقلب الوسادة المبللة من عرق الشتاء ... والـــذي رائحتـــه تزكم الأنوف ... أو ربما هي الدموع ... لا أعلم !!

نفس عميق ... أعقبته تنهيدة وتأوه ... تفكير لا يهـــدأ... وعين لا تستقر ... أتمنى لو انتهت صلاحية أحدهما .

خلافات أسرية ... ضائقات مالية ... أسرار مفـــشية ... مشكلات دراسية ... ورفيق درب واراه التراب ... تتصارع كلها بداخل علبة صغيرة ... تدفع دما ملتهبا إلى عقل أعيتـــه وأهكته كثرة الموارد .

" شعر أبيض ... أسنان مهـــشمة ... وعينـــان ضـــيقتان و قبلهما ضعيفتان ... وظهر محني " أحسست بنفسي هكذا .

رعشة سرت في جسدي كله ... قمت مفزوعا .. دلفـــت إلى باب المنـــزل ، أسرعت إلى الشـــارع .

وهناك سيطر عليّ تفكير امتزج بـــشعور غريـــب ... أن أركض إلى نهاية الشارع " حافي القدمين ... وبملابس النوم.. ألا تخجل ؟!! "

يبدو أن الإحساس كان أقوى مني ... فكنت قـــد بـــدأت الركض سلفا ... وصلت إلى نهاية الشارع ... راودتني الرغبة من جديد ... فأكملت الشارع الذي يليه ... ثم الذي يليه ... والذي يليه ... طفت معظم شوارع مدينة الأشباح.

" لم أعد أحتمل ... سأسقط إن لم أقف " .... جـــسدي كله يرتجف ... قدمي تدمي ولكني لا أشعر بها .

في شوارع المدينة القديمة وفي الليـــل ... لم يكـــن هنـــاك سواي... وبعض الكلاب الضالة ... وقمر غير مكتمل ..! لم يكن هناك من يلاحقني عدا أنفاسي ....

نظرت حولي " شعر أبيض ... أسنان مهشمة ... وعينـــان ضيقتان وقبلهما ضعيفتان ... وظهر محني " أحسست بنفـــسي هكذا .

أغمضت عيني ... وصرخت !! صرخة استخدمت فيهـــا كل القوة التي تبقت في هذا الجسد العجوز ....!!

" ياااااه .. " فزعت عندما فتحت عـــيني .... فوجـــدت رجلا أمامي .... لم أنتبه لوقع خطواته .... يحـــدق في عـــيني مباشرة .... ملامحه ليست غريبة ... أظنني أعرفه .. أعـــرف تلك البسمة القطبية التي ارتسمت على وجهه ... لم تـــشغلني التفاصيل ... فلم أكن أفكر سوى في رؤية نفـــسي في أحـــد المرايا... لم يتحدث إلي ... فقط مازال يحدق فيّ .. وعيناه بها بريق لم أره من قبل .

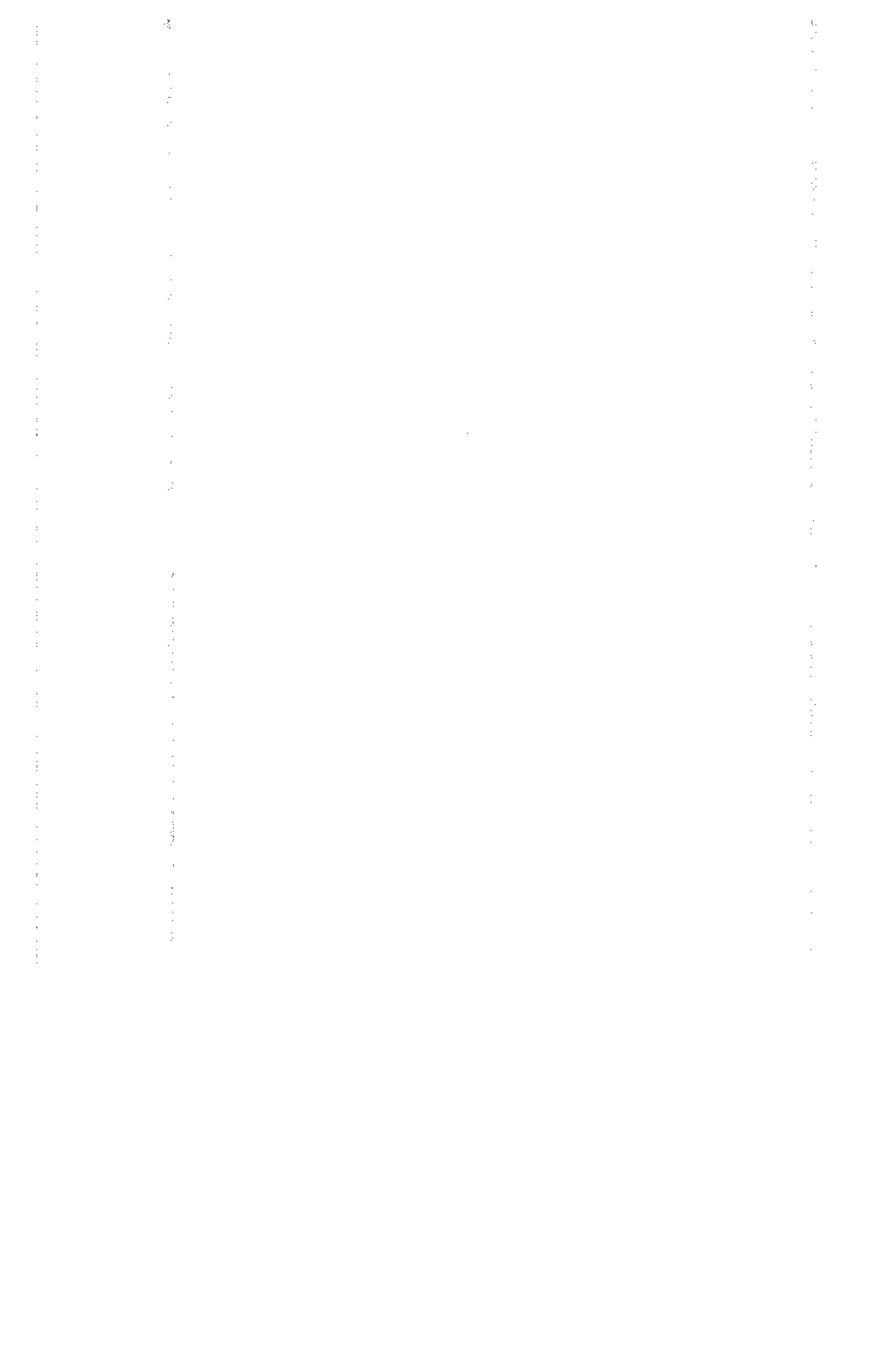
وأنا الآخر لم أكلمه .. ليس زهدا في الكلام ...!! لكن لم يكن تبقى من قوتي ما يمكنني من الكلام ....! تبقى فقط مـــا

يجعلني أتنفس ... و بالكاد أفتح عيني ... وأرفع سبابة يـــدي اليمنى لأشير إلى شعري .

ابتسامة أبرد حتى من ثلوج جبال الهمالايا .....!!

" لا .... ليس بأبيض "

بائع القبعات



"عم صبري.... ألا تبيع في الدكان سوى القبعات؟"

ابتسامة لزجة مطموسة ....كعينيه المطفأتين مـن الخمـر، أشاح بوجهه بعيدا باتجاه القبعات... أقصد القبعات على الرف الأيمن فالدكان يخلو من كل شيء عدا القبعات وبعـض ورق الحائط المهترىء .

ينتشل ذرات التراب بيديه الميتتين بدقـة فـوق الأسـطح المختلفة للقبعات .

"أتدري عم صبري.... هذه الأيـام لا تـشغلني سـوى السياسة...!! لا أعلم سببا واضحا لهذا الشغف المفاجئ "

نظر إلي شذرا ..... "فوووووو" متقطعة وغير متـساوية تعلو الأتربة على أثرها من على سطح القبعة المخملية المصنوعة من القطيفة ومستقرة في رئتيه .

" لا أعلم في أي عالم نحيا "

"كحكح.....أتسوووووه " يبعد القبعة عن المكـــان الـــذي يسعـــل فيه، يستعيد توازنه الذي أفقده له السعال .... تستقر بعض ذرات المخاض على خديه الغائرين بذقنه البيضاء المشعثة ، وعلى بزته الكلاسيكية ذات الصدرية المفتوحـــة، بـــصوت هادىء وهو يستعير قبعة أخرى مشيرا إليها .

" قبعة إنجليزية ، يا لها من ساحرة من الذي يراها ولا يحـــني لها رأسه رافعا لها قبعته ؟ "

"وكأن الموازين في هذه الدنيا للأقوى .... الدولة الأقـــوى هي التي تسود وتتحكم في الجميع "

تناول قبعة أخري التفت إلي بهدوء .

" قبعة لاعبي البيسبول .... ليتك تراهم وهـــم يطيحـــون بالكرة بمضربهم الخشبي المصقول "

" أما الفقير في هذه الدنيا ..... فلـــيس لـــه إلا الامتثـــال للأوامر العليا أو الانتحار"

دس إصبعه في مركزها كعصا المظلة وظل يلوكهـــا يمينـــا ويسارا .

" أشهر غطاء للـــرأس في الـــوطن العـــربي.... !! طاقيـــة شبيكة.... لن تجد قبعة أخرى بها كل هذا العدد من الفتحات والخروق ، بل والوحيدة في هذا الـــدكان الـــذي تـــستطيع وبسهولة أن تطبقها وتضعها في جيبك "

"وياريت الدول الكبيرة قانعة وراضية .... لأ تدور علـــى الدول الضعيفة ياعيني و........!"

قاطعني في حماس .

"قبعة جامعي الغلال ..... بسطح أملس وقطر دائري كبير كي تحمي جامعي الغلال في الحقول من حرارة الشمس..."

" أتسوووووه".... تطلع إلى المروحة الخشبية المتعجرفـــة والتي تطن طوال الوقت ، والتي يخيل إليك من الوهلة الأولى أنها ستسقط فوق رأسك ، لأنها لا تعرف السقف إلا من ســـلك متآكل .... لذا فهي تدور في كل اتجاه .

"بس تعرف يا عم صبري ... الدول الضعيفة دي تستاهل، ما هي اللي عاملة زى الـــــــ ....."

مسح حبات العرق المتلكئة بين ثنايا جبينه وأردف قائلا:

" أما هذه فقبعة رعاة البقـــر ليتك تراهم وهم يـــصطادون لترى كم هم بارعون ، يلوحون بالحبال في الهـــواء، وفي لمـــح البصر ترى الفريسة مكبلة طريحة في الوحل "

" كله كوم والموقف الدولي كوم تاني .... عندك مثلا الأمم المتحدة....!!"

يسحب الدخان بشدة متقطعة من غليونه المصنوع من العاج وينفثه ...فتمتزج ذرات التراب العالقة في الهواء بالـدخان.... يهوي على كرسيه المغطى بطبقة من الجلد الأسود الناعم... الذي يخفى تحته طبقة من الإسفنج ، لكن ليس في كل الأجزاء.

"أما هذه فللأماكن الباردة .... الباردة وفقط ... لا أمتلك منها سوى واحدة قبعة مصنوعة من أثمن أنواع الجلود... جلد الثعلب! " قالها بحسرة من خلف تلك التجاعيد التي تحوي بثورا وندبات وأسرارا .

" بس تعرف يا عم صبري ، النحل مع إنه من أضعف المخلوقات... إلا أنه يستطيع أن يدافع عن نفسه ضد أي خطر يهدده فقط إن كان مجتمعا في مملكته.... وهكذا النمل إن كانت نملة فلن تضر، أما إن كانت مستعمرات فتستطيع أن تسقط سدودا بل وقرى بأكملها ....عندك مثلا الدول بتاعتنا الـ.....!! أه ه ه صحيح قولي .... إيه أكتر القبعات عندك مبيعا في الدكان ؟".

امتقع لونه وأشار بسبابته المنكمشة إلى رأسه، وبصوت متهدج :

" تلك التي أرتديها ..... الطرابيش!!!".

مرثية يوم تافه



١

أستيقظ حين لا يجدي التقلب وتغيير الوضعية نفعـــا مـــن الترفق بذلك الألم الذي ينخر عظامي ومحاولة تجاهل الـــصداع الرهيب ، ويكون قد مر على نومي أكثر من ثـــلاث عـــشرة ساعة.... أبتلع المسكنات اللعينة.. أجتث الخطوات.. أتأرجح في طريقي إلى الحمام... ليس كمن رشف ما بداخل إســـفنجة الخواجة ياني ... بل كمن ابتلعها بما فيها لتوه.... لا أعرف إن كان هذا صوت الأرض من تحتي تئذ ... أم صوت احتكـــاك عظامي .

أتحسس المياه ليست دافئة كما يجب أو ربما ساخنة أكثر من اللازم .... يكفي أن أغسل رأسي وغدا أستحم .. أنظـــر في

المرآة بعينين غائمتين ومتورمتين أجاهد في فتحهما ... ذلـــك الشعر في وجنتي يجعلهم ينعتوني بالشيخ.... رغم أنني لا أصلي الجمعة ... أضع رأسي من جديد تحت الميـــاه ... فيتـــساقط شعري.. الجميع يخبرني أنـــي في طريقـــــــي للـــصلـــع ... أتحسسها على النملية... أربط مسمارها كي لا تسقط العدسة من جديد ... ألتقم بعض اللقيمات وأنا أعـــد الـــشاي ... أجلس في الشرفة ... ساعات قليلة وتقضي الشمس نحبها وراء الغيوم .... ألملم أكواب الشاي الـــصدئة... وأســـقي نبتـــة الصبار...! تلدغني كالعادة عندما أربت عليها ... كـــم هـــي ناكرة للجميل ... أخبروني ألا أسقيها كل يوم ورغم ذلك أشفق عليها .

٢

أعدل من وضعية الهوائي ... أشغل البيانولا ... لا شـــيء جديد ما أشبه اليوم بالبارحة ... أتنقل بـــين الفـــضائيات .. ويظل إصبعي يضغط على الزر الممسوح بانتظـــام كحبـــات المسبحة ... تجلس أمي خلفي ... تتنهـــد وتبـــدأ حـــديثها المتكرر.

" إنت مش هتقلع الهدوم اللـــي عليـــك دي ؟... بـــلاش تستحمى .. أنا عايزة أغسل الهدوم ... وبعدين احلق دقنـــك دى ... شكلها وحش مكبراك في السن "

لا ألتفت فقط أضغط على الزر فتستكمل .

"وبعدين إنت مش ناوي تروح الكلية؟.. صحابك كلـــهم اتخرجوا... شوف بقالك كام سنة... دي كلية الآداب وأسهل قسم .. جغرافيا... أمال لو مكنتش جايب ٩٥% في الثانوية.. وكنت دخلت الإعلام زى ما كنت عايز...كنت هتعمل إيه؟"

أستقر على واحدة وأرفع صوت التلفاز بشدة... فتتنهد من جديد وتكمل بنبرة متغيرة تماما .

"إنت عارف إن آداب هنا جنبنا .... واللي نعرفه أحـــسن من اللي منعرفوش، وإعلام دي في مصر ومحدش معاه يـــصرف عليك... وبعدين ما هي كلها كليات ربنا إحنا هنتبتر؟"

عندما تتيقن أن التلفاز لا يدرك ما تقول وتفقد الأمل من الحديث حتى تسترده غدا تقوم ... وأقوم أنا لأدخل غرفتي ... أغلق الباب خلفي جيدا.. أفتح باب خزانة الملابس وأتطلع إلى المرآة الملتصقة على جداره... أخلع جزءا من ملابسي وألف المنشفة على كتفي كالمعتمرين وأغوص في هوايتي المفضلة ... أصعد المنبر بكبرياء وأبدأ بصوت رخيم .

" أيها الأصدقاء ، أيها الرومانيون ، أيها المواطنون ... أعيروني أسماعكم ... إني جئت لكي أدفن قيصر ، لا لكي أشيد بذكره ... إن ما يفعل الناس من شر يعيش بعدهم ، أما الخير فغالبا ما يطمر مع عظامهم ... فكذلك فليكن شأن قيصر، إن بروتس النبيل أخبركم أن قيصرا كان طماعا ، فإن كان الأمر كذلك فإنها لغلطة محزنة "

ضحكة مدوية انفجرت خلفي مصدرها النافذة ... أعود للخلف دون أن ألتفت وأنا أتمتم " لغلطة محزنة "

طأطأت رأسي فكاد أن يصطدم بالأرض ... مددت يدي خلفي لأغلق النافذة ... هرول عفريت العلبة إلى أمي .

" الحقي ابنك الكبير ... اهبل ... بيكلم نفسه في المراية ولابس مقطع ... ودوه السراية الصفرا "

" اخرس ... أوعى تحكي قدام حد "

استسلمت للأرض ... تحجـــرت الـــدموع في عـــيني ... ورحت أدندن بأغنية قديمة أحبها ... في تلك الأثناء كانـــت طبول الحرب تدقها أمي على الباب .

" افتح يا حبيبي ... علشان خاطري ... دي عين وصبتك ... هي الولية أنعام جارتنا هي إللي عاملة لك عمـــل ... والله لأخدك بكره للشيخ مبروك يفكه ... ده راجل كلـــه بركـــة ويخاف ربنا ".

٣

لا أعلم في الحقيقة كم من الوقت قد مر ... وأنا أعيد دندنة الترنيمة المقدسة ... لكن صوت الحانوت تحت المنزل يغلق جعلني أوقن أن الكثير من الوقت قد مر ... منتهى حلمي في هذه اللحظة أن أخلد إلى النوم بسلام ... ولكن أعلم جيدا أنه عشمي في الجنة ... رحت أسير في الغرفة في دوائر متداخلة كعقارب الساعة ... أمشي بسلحفاتية كعقرب الساعات ... ثم بأرنبية أسرع الخطى قليلا كعقرب الدقائق ... ثم أهرول كالأخير ... أملا في أن ينهك هذا الجسد الممل الذي أسكنه... وأشعر بالدوار والإرهاق ... وأرتمي في أحضان تابوتي الكئيب ... لأستمتع بموتتي اليومية .

لا أعلم كم من الأميال قطعتها ولا كم من الساعات وأدها ... عبرت سهولا وكثبانا رملية وربما غابات استوائية... ارتميت أخيرا في أحضانه الرطبة ... التي أقضي فيها ثلثي حياتي... أدلك قدمي ... أغلق عيني وأنتظر العزيز جودو .

أتقلب وأنتظر ... أتقلب وأنتظر ... أتقلب وأنتظر...

صوت التنهيدة هو ما يقطع صوت أنفاسي الرتيب ... وذلك الصوت الذي يشبه طرقعة الماء أصدره من فمي هو

رفيقي في رحلة الانتظار ... العلاقة بين مرور الوقت وسرعة طرقعة الماء طردية ... قمت حانقا عندما انفتح الصنبور وانسكب الصبر مع الماء ... وقعت عيني على ملامحها الحادة الرقيقة التي رسمتها بنفسي على الوسادة ... تبادلت معها كلمات الحب ... داعبت خصلات شعرها الكثيف فوق عينيها الزهريتين ... كانت كعادها تخبرني أنها لن تكون أبدا لغيري .

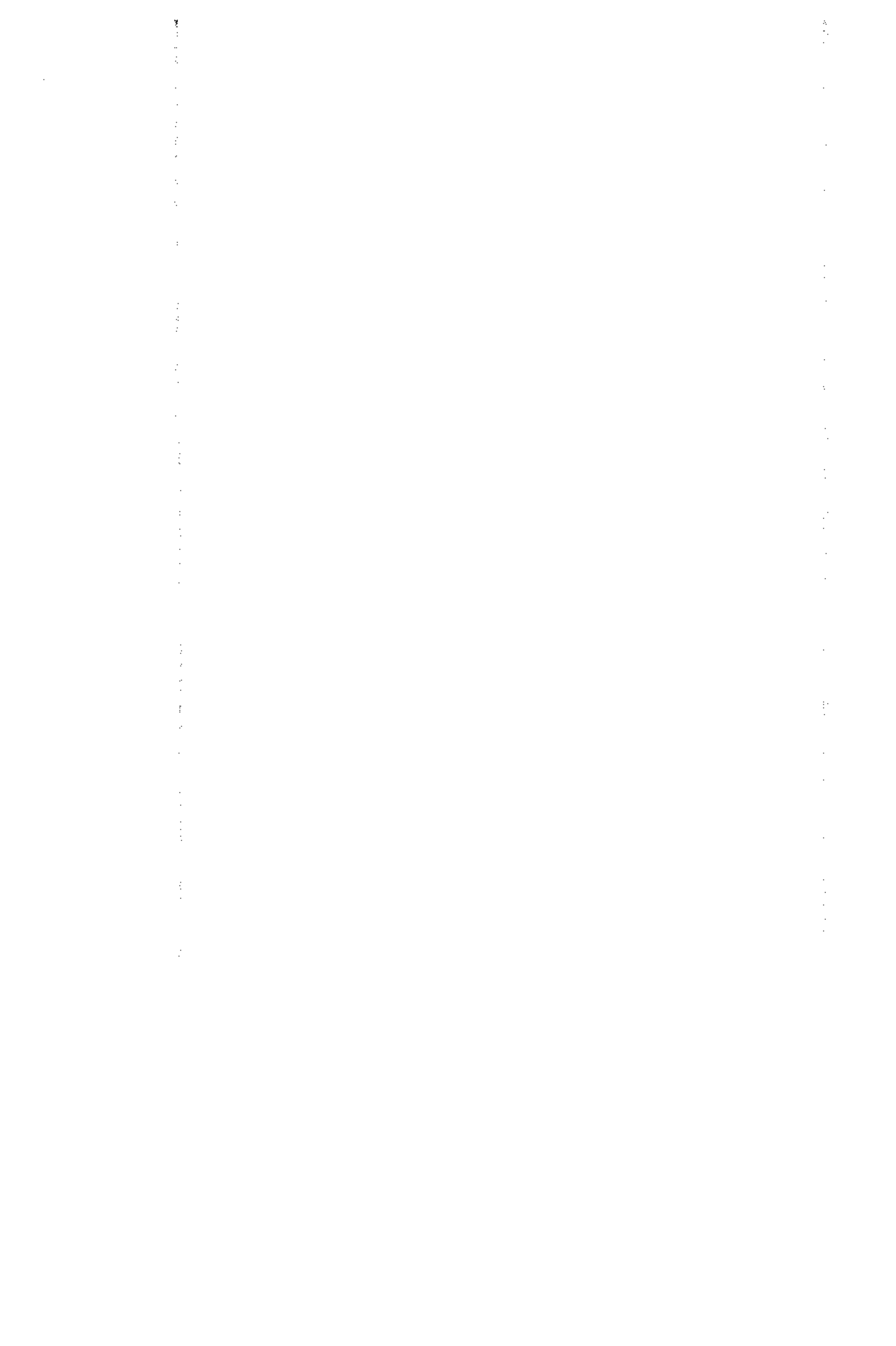
انتفضت عندما تذكرت أنها تبيت الآن في أحضان غيري... وربما تضاجعه في هذه اللحظة ... اغتصبتها ... لم تجد محاولاتها في المقاومة أو استعطافي ... عندما انتهيت طوقت يدي حول عنقها ... لم أدرك ما أفعله إلا عندما لفظت أنفاسها الأخيرة ... حملتها أحسست أن جسدها الميت محشو بالقطن ... دفنتها تحت السرير كي أخفي فعلتي... دسست يدي تحت الوسادة وجلبت حبلا كنت قد جدلته بنفسي ، أحضرت ورقة وكتبت فيها بيد مرتعشة .

" معرفش ليه يقف العضم دايما بين سناني كل ما آكل م الكرشة "

انتصبت على الكرسي في منتصف الغرفة ... أثبت الحبل المتدلي الذي أحكمت وثاقه بالسقف حول رقبتي أترنح لا أعلم

مم ؟ الكرسي المهترئ أم تلك الرجفة التي تسري في جسدي ... أتحسس حافة الكرسي بأصابع قدمي .. دفعة صغيرة كل ما تبقى عليّ فعله ... أتثاءب أكثر من مرة ... أشعر برغبة في النعاس ... أعيد الحبل تحت الوسادة .. وأنام!!.

الزائر الأخير



في ذلك الوقت من الليل عندما تكـــون المدينـــة في ثبـــات عميق، ولا تسمع صوتا في الباحة الخلفية للبنايـــات الـــثلاث سوى صوت الرياح التي تحمل ذرات التـــراب وأوراق شـــجر الزينة الجافة... يجلس هو بالقرب من مكتبه الخـــشبي يحتـــسي القهوة البرازيلية منـــزوعة الكافيين ، ويمارس طقوسه الخاصـــة في العمل كصحفي ...أوراقه ناصعة البياض... فهو لا يحـــب التقيد بالكتابة على الخطوط....وقلم حـــبر بنـــصل برونـــزي حاد... والإضاءة الخافتة التي لطالما عشق الكتابة فيها .

لا يترك القلم إلا عنـــدما يتـــبين الخـــيط الأبـــيض مـــن الأسود...يكتب عن الفساد وعن المارقين...عـــن مـــشكلات الشباب...عن القـــوانين المانعـــة للحريـــة....عـــن همـــوم الوطن.....فقط لا يخشى الكتابة عن أي شيء ، ولا يخـــشى

رئيس التحرير المتحذلق الذي لا يكترث سوى للإعلانات من نشر مقالاته ، ففي الصفحة الأولى تجدها قبل المانشيت الرئيسي بالأحمر القاني (المقالات لا تعبر عن رأي الجريدة وإنما تعبر عن رأي الكاتب الخاص) .

جذب القلم من بين شفتيه وشرع في كتابة المقالة الرابعة من سلسلة المقالات الجريئة تحت عنوان (حكم الـــشعوب مـــش بالرصاص ... حكم الشعوب بقلم رصاص) .

٤- كيف تحكم الشعوب

هذا إجراء متبع عن مدربي الـــسيرك ليـــضمنوا ألا تثـــور الفيلة....وأظن أن هذا ما يحدث لكثير من البشر عندما كان لا يزال صغيرا... يقيد الفيل بحبل لعمود مثبت جيدا في الأرض ، يحاول الفيل مرات ومرات لكنه لا يمتلك القوة الكافية ليحـــرر نفسه .

بعد عام....مازال العمود والحبل موثقين بقوة كافية لتقييد الفيل .... ولكنه يستمر في المحاولة - بدون نجـــاح - ليحـــرر نفسه .في هذه اللحظة يتيقن الفيل أن الحبل أقوى منه ويقلـــع

عن المحاولة..عندما يكبر الفيل لا يزال يذكر كيف ولفترة طويلة أضاع طاقتة في محاولة الهروب من الأسر....عند هذه اللحظة يربطه المدرب بحبل رفيع إلى عصا مكنسة ولكن الفيل لا يتحرك أبدا بأية محاولة للهرب .

امتقع لونه فجأة وسقط القلم من يديه عندما سمع صوتا في الباحة الخلفية ...ترك منظاره الطبي بالقرب من فنجان القهوة الذي مازالت الأبخرة تتصاعد منه وذهب إلى الشرفة....ما كان يتوقعه ويخشاه..!!

عربة مصفحة وناقلة جنود جاءوا لاعتقاله... ليست المرة الأولى لهذا السبب لم يتزوج إلى الآن .

" الزبانية وصلوا "

لم تكد تمر لحظات حتى سمع طرقا شديدا على الباب وفوضي من أصوات متداخلة .

" افتح الباب ... افتح الباب ...متحاولش الهرب...افتح الباب لنكسره .... إحنا عارفين إنك جوه "

بأناة اقترب من الباب، أمسك بالمقبض هنيهة ثم تركه متوجها إلى المكتب ، جلب منظاره الطبي فاصطدمت يده

بفنجان القهوة فسقط ليطفيء بياض أوراقه ، أخذ الأوراق في يديه ... توجه إلى الشرفة .

عقد يديه حلف ظهره .

"افتح الباب بقولك.... المكان كله محاصر...مفيش فرصـــة للهـــرب "

تنهد وذهبت عيناه في كل اتجاه ثم راح يتمتم .

" لماذا أكتب ... ولمن ... وما الفائدة مما أكتب ؟..إن كان الناس لا يقرأون إلا عن الفنانين وزيجاتهم وعن الأبراج وطبـــق اليوم...فما فائدة ما أكتب إن كان لا يحرك ساكنا وألقـــى في المقابل العنت والتغييب في غياهب السجون ؟"

"استسلم أفضل.... بقولك للمرة الأخيرة...افتح لنكـــسر الباب... اكسر الباب يا عسكري"

لم يكترث لهم ... رطب الهواء بعض ذرات العـــرق علـــى جبينه ...واستقرت بعض ذرات التـــراب علـــى العدســـات الزجاجية...وراح يتمتم وكأنه أصيب بلوثة دماغية .

" في جسم الإنسان حوالي خمس وعشرون ألـــف مليـــون خلية، لكل خلية عمر حين ينقضي تحل محلها خليـــة أخـــري

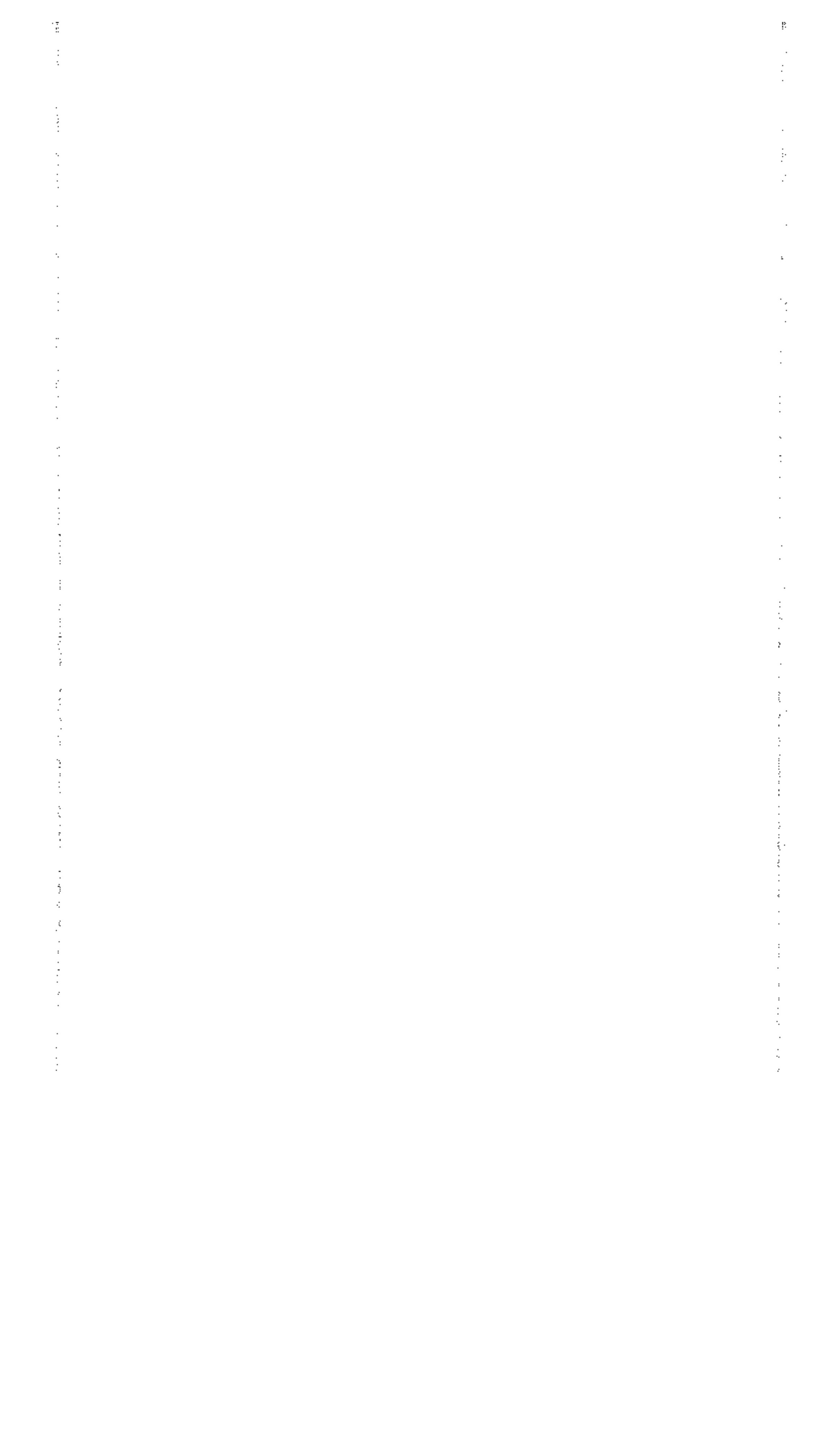
بنفس مواصفات الخلية السابقة ، وفي كل ثانية يموت في جسم الإنسان حوالي سبع آلاف مليون خلية ليحل محلها عدد مماثـــل وطبق الأصل، وبعد العام الثامن عشر يبدأ الدماغ بفقد ألـــف خلية يومية .... وأشعر الآن أني فقدهم لتوي "

"١...٢....٣..."

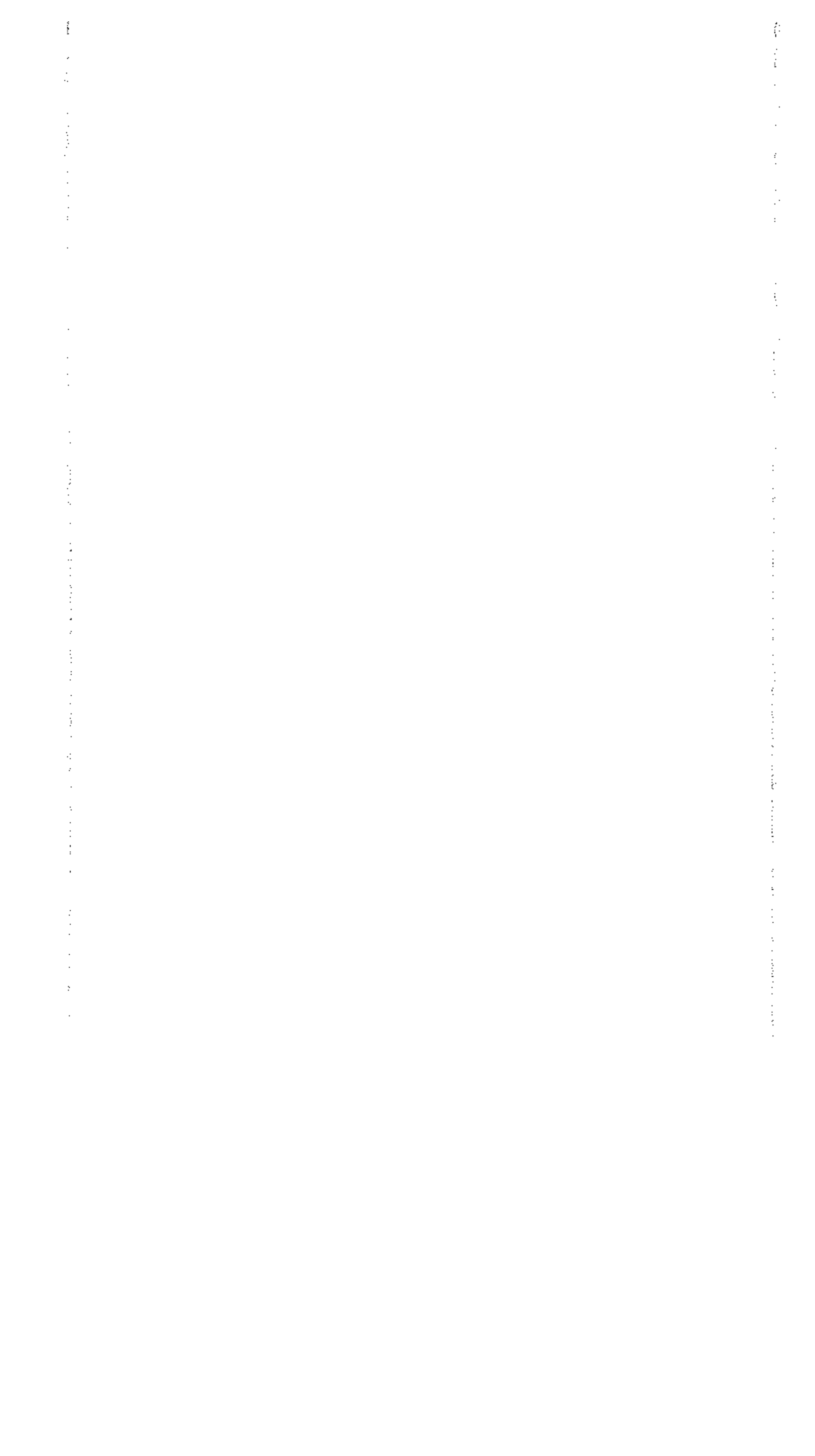
انكسر الباب وفتح... فلم يلتفت... ألقى الأوراق التي كان يحملها لتحملها الرياح مع ذرات التراب وأوراق شجر الزينـــة الجافة .

"سلم نفسك يا وحيد يا صدقي "

أغمض عينيه قليلا... وابتلع لعابه ثم التفت ورمقهم بنظرة لا مثيل لها... وألقى بنفسه من الشرفة ليرتطم جسده المترهـــل بالهموم بناقلة الجنود محدثا ضجة علها توقظ المدينة .



محطة انتظار



كنت قد انتظرت طويلا على الأريكة الخشبية قبـــل مجيئـــه و جلوسه بجواري ، تأخرت الحافلة كثيرا ...!!

نظرت إلى الساعة بيدي ثم تأففت ، نظرت بجانبي فوجدت كهلا بملابس رثة ثقيلة وذقن بيضاء شعثاء وغليون من العـــاج مثبت بين شفتيه الغليظـــتين ، ومظلة سوداء مغلقـــة يتوكـــأ عليها، وقبعة قطيفة رمادية على رأسه تخفي شعره الأبـــيض إلا من فوق أذنيه مثبت عليها كرة من الخيوط الحمراء والرماديـــة المتداخلة .. كانت بعض الشعيرات البيضاء تتدلى مـــن أنفـــه المعقوف ، وصوان أذنه الكبيرة .

كانت أضواء واجهات المحلات في الجهة المقابلـــة تـــصلنا خافتة، لذا فلم أتبين لون عينيه إلا أنني ظننتها بلون السماء .

كانت عيناه معلقتين على سيل السيارات الذي لا ينتهي ، نظرت في الساعة ثم رحت أتأفف من جديد ، دثر أذنيه جيـــدا

بملفحته الصوف البنفسجية ، ثم حرك رأسه بتـؤدة نـاحيتي ، حدق إلي طويلا ... ظننته سيختلق حديثا عن أحوال الطقـس أو عن غلاء الأسعار .. إلا أنه لم ينطق ببنت شـفة ، بالكـاد ابتسم ابتسامة مكدودة فلم أر له أسنانا ، لكم كـان وجهـه مجعدا ، أحسست أن جسده محشو بـالقش و أوراق الـشجر الجافة ، وكانت عيناه زرقاوين كما اعتقدت !!

عاد برأسه من جديد بحركة وئيدة تشبه إلى حد كبير طبـق الاستقبال المثبت على سقف الجيران ، وتطلع مرة أخـرى إلى الأفق الملون بألوان السيارات وأضواء واجهات المحلات الباهتة والأصوات الصاخبة .

كانت راحة يدي اليسرى مثبتة على فخذي فأخذ يحملـق فيها ... وضع يده المرتعشة بجوارها على فخذه وأخذ ينظر عن كثب إلى كليهما ... وكأنه كان يعقد مقارنة بينهما ، كانت يده خشنة مجعدة وكادت تلفظ أوردته البارزة .

نظر إلى وجهي بحركته البطيئة الدءوب ، كانت عينـاه في عيني مباشرة فابتسمت خجلا ، إلا أنه لا أعلم لم يكتـرث أو لم ينتبه إليها .

حرك يده اليمنى ناحية وجهي .. فعدت بروية إلى الخلـف إلا أنه سارعني واضعا يده على خدي الغض .. ويده اليـسرى

على خده المجعد ، لا أدري ما الذي دفعه إلى فعـل ذلـك ، انتبهت إلى أن الغليون غير موجود بين شفتيه .

فجأة ..!! تغيرت ملامح وجهه فعقد ما بين حاجبيـه وزم شفتيه ، نظر إلى بنطاله الذي أصبح مبتلا تماما ... أظنه بـال على نفسه لا إراديا .

نظر إلى الأفق من جديد بعينيه الغائمتين ، تعثر وهو يهـم قائما من جلسته .. لا اعلم لم لم أساعده .. ترك المظلة علـى الأرض .. وعبر الطريق فالتقمته إحدى الشاحنات الكـبيرة .. ولاح الباص في الأفق .




العلبـة



سرداب طويل .. دهليز .. لا بل ممر طويل ، رمادية هـــي الحوائط، وأرض لزجة مهترئة .. أسابق الريح .. لا أعلم ممـــا أجري ولا حتى لم أجري ، صماء حوائط الجانب الأيمـــن ، لا شرفات أو فتحات أو سراديب أخرى كالجانب الأيسر .

انعطفت يسارا في أحد المنعطفات ، سراب منضدة صـــغيرة يقطع اللا نهاية لذلك السرداب .

بدأت أشعر بالتعب ، وبدأ صوت أزيز صدري .. وأنفاسه المتلاحقة... يصدر صوتا يشبه ماكينة مكافحة البعوض الـــتي تجوب حينا ، لم يكن سراب بل هي منضدة بالفعـــل ، شـــيء صغير موضوع عليها ، وقفت أخيرا فأنا من الواضح المتـــسابق الوحيد في هذا الماراثون ، ولكن لم أجر ، و لم أنا أصلا في هذا المكان ، ومم أهرب ؟، أفقت من دوامتي ، فوجـــدت يـــدي

داخل حلقي ، فنظرت إلى المنضدة فوجدت علبة صغيرة مفتوحة تشبه أحد آلاف أنواع مستحضرات التجميل ، ووجدت أصابعي قد نهشت جزءا كبيرا منها ، اتسعت عيناي، يا له من طعم .. لو ذقت الصبار لكان خيرا منه ألف مرة ، ما الذي دفعني إلى فعل ذلك ؟، نظرت مرة أخرى إلى العلبة فوجدت آثار يدي قد زادت حدة ، ووجدت يدي أيضا في حلقي ، آآآآآه لساني يبلع ويساعد يدي .. حاولت البصق ، لكن دون جدوى .

أمسكت حلقي الذي ابتلع لتوه .... !!؟؟

استدرت وبدأت أجري ، صماء حوائط الجانب الأيمن ، لا شرفات أو سراديب أخرى كالجانب الأيسر ...!! ولكن كيف ..! لقد استدرت .. لابد أن يحدث العكس ..؟؟

انعطفت يسارا .. لا أشعر بقدمي .. بالكاد أتنفس .

منضدة صغيرة ..! أكاد أرى العلبة ذاتها عليها .. انعطفت بغتة إلى اليسار في أحد المنعطفات محاولا الهروب من الوصول إلى المنضدة الملعونة .. تسمرت قدماي .. اتسعت عيناي .. نفس المنضدة أمامي مباشرةً .. تتحرك يدي وكأنها مسحورة نحو العلبة حاولت منعها .. صرخت ..أغمضت عيني .. نفس

الطعم مرة أخرى في حلقي .. طعم جيفة ممزوج بعلقم بقليـــل من .... لا بل أكثر ..!

فتحت عيني بصعوبة .. وعاودت الهروب مـــن جديـــد .. أستطيع الإغماض وأنا أجري فلا شيء سوى أفق رمـــادي .. من قال إن الإنسان لا يستطيع أن يسمع دقات قلبه ..!

انعطفت يسارا .. ثم يسارا أفقد وعيي الآن كما أظـــن .. لو سار طفل بجانبي لسبقني ! .. هه .. سراب شخص يقـــف بعيدا ..! لم أصدق .. لذا لم أكلف نفسي عناء الاســتغاثة .. اقتربت .. ليس بسراب .. شخص ممشوق القوام .. مفتـــول العضلات .. يرتدي بزة سوداء .. وقبعة إنجليزيـــة .. لـــذا لا أستطيع أن أرى عينيه .

".. ســــــ ســــــــاعدني .." خرجـــت مـــع حـــشرجة صوتي .. لا يزال يشير بيده اليمنى ..قف .

" اقترب " قالها بصوت خافت .. فاقتربت منه أحـــاول أن أتبين وجهه من خلف القبعة السوداء .. أنزل يـــده الـــيمنى .. ابتسامة إنجليزية باردة .. يحرك يده اليسرى التي كان يخفيهـــا خلف ظهره .. يا للهول ..نفس العلبة الملعونة .. وبدأت يدي رحلتها في عذابي .. تفتح الغطاء .. وتلعق كالعادة ، لم أصرخ

هذه المرة .. خارت قواي و لم أعد قـــادرا علـــى الهـــروب .. أحاول التكيف مع طعمه الآن .... أظنه ليس ....!!

ابتسامة أكثر برودة ..!!

أدار العلبة بأصابعه الخشبية .. أظنه يحاول أن يريني شـــيئا مكتوبا عليها .. نعم .. أظنـــها حروفـــا متلاصـــقة .. نعـــم حروف.. إنها .. الحـــــــــــــزن !!

عم فوزي



سيل جارف من السيارات... أعبر الطريق بحركات بهلوانية كلاعبي السيرك ، منتصبا كعادته بجانب كشك الجرائد والمجلات ، تمتد يمناه إلى حلقه ... أحيانا أظنه وُلد هكذا ، تنتهي يده الخشنة بصافرة لا يمل من دفع الهواء الملتهب من رئتيه والملوث ببقايا كرسي المعسل فيها محدثا جلبة ، وبيده اليسرى مشوحا إلى السيارات التي لا يكترث أغلبية سائقيها له خاصة وأنه لا يرتدي زيا عسكريا ... فأي مخبول هذا الذي يقف أمام قرية صغيرة لينظم المرور.. هو الآخر لا يبالي لهم ، لكن يراقب متلصصا عن كثب نظرات أعينهم المشمئزة من مرايا عرباقم الجانبية ، ثم ما يلبث أن يشيح بوجهه بعيدا باتجاه السيل مطلقا دفعة جديدة من كرسي المعسل والجلبة .

تذكرت مرة أخبر فيها صديقي عندما سأله ألا تمل من التصفير ، فرد بأسلوبه الهادئ المعهود وعيناه لم تتحرك من على سيل السيارات .

" الناس تنفخ من الحر والغلا والمشاكل ومبيملـــوش ، أنـــا بنفخ زيهم بس في الصفارة... عارف يا واد يا علي لما هترقى ويبقي معاي عصاية إشارجي المرور ... بإشارة مني العربيـــات تقف وبإشارة تتحرك "

دفعتني هيئته إلى السؤال هل فعلا يعمل في المرور أم أنه مجرد هاو مخبول.... فلم أره مرة يحمـــل دفتـــرا أو قلمـــا ليحـــرر المخالفات ، ولكن ما أشد سعادته عندما تتـــسمر قـــدماه في منتصف الطريق مطلقا أعلى الـــصفارات في تمـــام الـــسابعة والنصف ...المرة الوحيدة القادر فيها على إيقاف السيل مشيرا إلى أطفال القرية المتجهين إلى المدرسة الابتدائية في البر الآخـــر أن يعبروا الطريق، لا يهتم إلى تلك الأبواق الصارخة والصادرة من الشاحنات العملاقة ، يمر الموج الأصفر لون الزى الموحـــد سريعا متشابكي الأيدي ، ثم تسمع كلمته المعهودة مذ كنـــت جزءا من هذا الموج .

" إزيكو يا أولاد "

" الله يسلمك يا عم فوزي "

يااااااااه .... حتى الجلباب لم يتغير .... يزيد عليها فقط في فصل الشتاء البالطو الصوف بالبنفسجي الباهت ، و كاســـكتة

على رأسه مثبت عليها شال المفترض أنه باللون الأبيض ، لطالما سخر الناس من هذا الشال المثبت على الكاسكتة دون حاجة ، لكنه دائما يعلل بأنه من أرض الحجاز وأنه نقع في ماء زمـــزم الطاهر لأسبوع كامل ...لهذا السبب لا يغسله .

صوت مفاجيء أفزعني ...!! فوضعت يدي على رأســـي كرد فعل سريع ، حادث مروع ... اصطدمت عربـــة فارهـــة بكشك الجرائد .... امتزجت الصرخات بالاستغاثات ، والكل يعدو باتجاه الكشك ، مسكين عم جورج أسأل الله ألا يصيبه مكروه ، وصلت إلى المكان تسبقني أنفاسي المكتومة ودقـــات قلبي المتسارعة ولهفتي للاطمئنان على العم جورج ، وكانـــت الصدمة أكبر من أن أتخيلها كان هو ... !!

عم فوزي ... رأيته وكان قد انفرط على الأرض ، جلست مهرولا إلى جانبه على البازلت الملتهب كان الدم يتدفق منـــه بغزارة لكنه كان ما يزال حيا ، حملقـــت في وجهـــه الـــدميم بشدة.... أحفظ عن ظهر قلب قسمات وجهـــه وتفاصـــيله الصغيرة ، شنب كث وذقن شعثاء وأنف معقوف وتجاعيد على جبهته العريضة ، ولكنها كانت المرة الأولى التي أرى فيها عينيه بدون منظاره الطبي السميك المصنوع من العاج.... كم هـــي

جميلة ... !! لكن لم يتسن لي أن أكتشف شعر رأسه حيث مازالت القبعة تغطيه والشال الأبيض الذي دنست قدسيته بقع الدم المتناثرة عليه..

رفع عينيه عن سيل السيارات الذي لم يتوقف مرة ليودعه ، نظر إلي نظرة كسيرة وهو يرخي عينيه يفتحهما بصعوبة ، وكان الجميع منشغلا بلم أشلائه المتناثرة على البازلت ، والاتصال بعربة الإسعاف .

رفع يده وفتح فمه بالكاد وكأنه يريد إخباري بشيء ، لم يستطع البوح ببنت شفة فجراحه المثخنة كانت لتقضي عليه من الوهلة الأولي ، لكنني فهمت ما كان يعنيه فعيناه كانتا معلقتين على الصافرة على الأرض ، فأسرعت جالبا وماسحا إياها من التراب وثبتها جيدا بين أصابعه المرتعشة ، قربها رويدا رويدا من شفتيه الغليظتين والميتتين سلفا ، استجمع قواه الراحلة ، ونفخ فيها بكل ما تبقى لديه من القوة وعيناه ما تزالان معلقتين على سيل السيارات ...ليخرج نفثه الممزوج ببقايا كرسي المعسل وروحه من فتحة الصافرة المقضومة...لتحدث آخر جلبة وتختلط بعوادم سيل السيارات الجارف .


إسهال



"أووووووووووه "

أدفع بإصبعيّ السبابة والإبهام في الهـــواء بانتظـــام ليلتقيـــا ويصدرا صوت الطرقعة ، ويدي اليسرى تضغط على معدتي ، أصبت بإسهال من جراء إفراطي في شرب اللبن بعـــد إفطـــار ثقيل، أكتم أنفاسي وأجز على أسناني ...لكم أتمنى ألا يكـــون الحمام مشغولا ، وما يدريك فحمامات الشركة بالحجز فإمـــا أولى مكيفة لرئيس مجلس الإدارة وإدارته وبالطبع نمنـــع مـــن دخولها ، وإما ثالثة ركاب لعامة الموظفين أولئك من يـــسعلون الغبار والفارق كبير فإما أن تجلس القرفصاء وتستعمل الكـــوز وتحك يدك في الحائط بعد إنهاء المهمة أو أن تجلس على العرش كالسلاطين ومياه دافئة تقوم بالمهمة بدلا عنك ثم ما تلبـــث أن تضغط على (في الحقيقة لا أعلم ماذا تسمى) حـــتى تهبـــك الصابون دون مقابل .

أما أنا فلا أدخل سوى حمامات الملوك كيف لا وأنا لا أملك من حطام الدنيا سوى الحيلة جل ما تعلمته في حياتي ، دفعت المقبض الذهبي للباب تعلوه لافتة مكتوب عليها (مرحاض خاص) أغلقته خلفي في سرعة فكادت قدمي أن تزل ، أرفع ملابسي الملتصقة على جسدي ، لم أعد أطيق كتم أنفاسي فأصبحت تخرج من فمي فحيحا .

أقسى لحظة علي لأني أكون فيها قد هيأت نفسي و أشعر أنني لو انتظرت لحظة واحدة لأصبحت مجرى حديث الشركة لسنوات ، لكن في حقيقة الأمر لو كان الحمام أبعد لتحملت... المسألة فقط نفسية .

وما إن جلست حتى شعرت براحة الكيني الذي يجتاز خط النهاية في سباقات المارثون .

صوت مفاجيء مرتفع تسير الأمور بعدها طبيعية ، نفثت في راحة وأنا مغمض العينين وأرخيت رأسي على الحائط الذي خلفي ، ابتسامة على ثغري سريعا ما تحولت إلى ضحكات تذكرت إحدى النكات القبيحة التي ألقيتها على إحدى الفتيات في الشركة فاحمرت وتركتني وهى تعقد ما بين حاجبيها ، وتمتمت بكلمات قصدت ألا أسمعها ......نظرت

في الساعة الثالثة وخمس دقائق .... ياااااااااااااه !! قليلا ما تأتي ساعة الخروج الرسمية وأنا في العمل ....أكون وقتها على الفراش أغط في نوم عميق .

انتهيت أخيرا .... تذكرت أقصوصة كان يحكيها لنا مدرس التربية الدينية عن أحد الحكماء الذي دخل على هارون الرشيد وهو يحمل كوبا من الماء ، وقال له أرأيت إن منعتك هذه الشربة حتى تموت فبكم تشتريها فقال له هارون الرشيد أعطيك نصف ملكي ، فرد عليه قائلا وإن منعت بداخلك و لم تخرج فكم تعطيني كي أخرجها من جسدك فرد الأخير قائلا نصف ملكي الآخر ، فرد الحكيم قائلا (ملك لا يساوى شربة وبولة) لم أحفظها لأني لا سمح الله كنت متقد الذكاء لكن لأن مدرس التربية الدينية لم يكن يكرر سواها وأقصوصة أخرى ، المهم أني لم أشعر بمعناها سوى الآن .

أمد يدي إلى الصنبور كي يتدفق الماء الساخن كي يقوم بالمهمة الصعبة التي يعزف الكثيرون عن الحديث عنها ...! ، أفتحه ببطء حتى لا يندفع الماء بقوة كالمرة السابقة ، توالت اللفات والماء لا يخرج وصلت حتى النهاية من دون قطرة ماء واحدة .

كورت قبضة يدي ولكمت بها الحائط .

اليوم عم حسين كان يتحدث عن ماسورة المياه التي انكسرت عند المبنى الشرقي ، كان لابد أن أتذكر

تمتمت في ضجر وأنا أضغط على أسناني " هو يوم إسود من أوله " .

ضغطت بيدي اليمنى على جبهتي المعروقة إزاء هذا المجهود الضخم الذي لا أقوم بمثله في العمل ، فنساء القسم يقومون باللازم .

لحظة....!! بكرة المناديل ، سددت بصري نحو الإطار الحديدي إلى يساري تلفه بكرة المناديل .... لكن ما من جدوى ..... فعم حسين الأبله يأخذها عند انصراف رئيس مجلس الإدارة ليستخدمها ليلا ويضعها صباحا قبل مجيئه ، نظرت في الساعة الرابعة إلا الثلث .... يغادر الآن على ما أظن آخر العاملين في الشركة .

"والحل ....! لا أعلم "

تمالكت نفسي لوقت ثم صحت في حنق " أنا زهقت " .

مهلاً ....!! علبة المناديل مازالت في جيبي وضعت يدي على الجيب كي أتأكد.... صوت خرفشة .

"الحمد لله.... حل مؤقت حتى أذهب إلى البيت وأستحم"

دسست يدي في جيبي وأخرجت العلبة فوجدتها فارغة فصرخت صرخة ظهرت على ملامح وجهي... لكنها لم تخرج من حنجرتي مخافة أن يسمعني أحدهم أو أن يلبسني عفريت .

دفنت وجهي في يدي في يأس .... خيوط الشمس التي كانت تصلني بالكاد اختفت ... نظرت في الساعة الخامسة والنصف ... وضعت طرف ملابسي في فمي وأمسكت بالبنطال بيدي وتركت كرسي العرش الذي اختار أن يؤثرني كما يؤثر الملوك فلا يتركوه إلا عندما يضاف لقب الراحل إلى أسمائهم ... تحركت كالأطفال عندما يكونون في نفس موقفي قاصدين أمهاتهم كي يقوموا بالمهمة الصعبة.....ضغطت على زر المصباح... خير من لا شيء ، أستطيع أن أتخيل الآن الإطار الأحمر الذي تركه كرسي العرش علامة في جسدي ، عدت من جديد إلى الجلوس ... لكن رغما عني بعكس الملوك ...... ضاق بي الحال ...وضقت ذرعا بالبحث عن حلول .... فإن صرخت فلن يصل صوتي لعم حسين الأبله فهو يجلس عند باب الشركة على بعد مئات الأمتار .... حتى لو كان قريبا فهذا الأبله لن يسمعني من صوت التلفاز الذي يشغله وكأنه لعوالم أخرى تسكن المريخ .

لا حل سوى أن يأتي إلى الحمام كي يقضي حاجتـــه .... فهو يقضي الليل يعبث بهوائي التلفاز ... ويحتـــسي الـــشاي الكوب وراء الآخر .... نعم حتما سيأتي فلابد بعد كل هـــذا النهم للشاي أن يتبول .... خطرت على بالي الأقصوصة الثانية لمدرس التربية الدينية ، ذلك الرجل صاحب الملامـــح الحـــادة العابسة طوال الوقت الذي لا يفتـــأ يتوعدنا بالجحيم ويـــوزع علينا اللعنات و نصيبا من العذاب في نار جهنم .... تحكي عن ثلاث وقعت صخرة أمام مغارة كانوا يحتمون بهـــا ..... ولم يجدوا سبيلا للخروج... سوى اللجوء إلى الله ....ففكر كـــل منهم في عمل قام به بإخلاص لله ودعا الله به أن يخرجه مـــن هذه المغارة.... في النهاية انقشعت الصخرة عن باب المغـــارة وخرجوا سالمين ....!!

فكرت لَمَ لا أفعل مثلهم ....بحثت طويلا عن أي شيء مميز فعلته في حياتي... طال بحثي فلم أجد ... قـــررت أن أفعـــل العكس أن أناجي الله بخطاياي .

يا رب ... أعلم أني ضاجعت النساء في الأزقة ...ودورات المياه ... وعلى الكنبات الخلفية للسيارات ....لـــــــ.. لكني يا يا رب لست بسيء إن قلبي أبيض .

أعلم أني كنت أبول كل صباح في قدرة الفول التي يأكـــل منها كل الحي من مطعم عمى ....أعلم أني تقاضيت الرشـــوة من قطعة حلوى حتى آلاف الجنيهات.....أعلـــم أني كنـــت أتسلل وأعاشر فتحية العمية علي أني زوجهـــا الأخـــرس .... أعلم يا رب أني قمت ببيع أقراص المسكنات على أنها عـــلاج للسكر جاء من الخارج.... لكن يا رب أنت تعـــرفني جيـــدا تعرف أني إنسان صالح و.........

أعلم يا رب....أني أعلنتها صريحة أمام الجميع أنني لا أؤمن إلا بنفسي وربي هو المال ....نعم يا رب أعترف... أعترف!! أني لم أكن صالحا في يوم من الأيام ...لكـــــ لكنك لكنك يا رب غفور رحيم....سمعت خرير المياه في المواسير.... فعرفت أن الحيلة قد انطلت ونجحت أخيرا..... لكن قريبا علمت أنـــه كان مجرد سراب .

لم يكن الأمر سهلا كما كان مع أصحاب المغـــارة..... لم ينشق الحائط أو ينفجر من الأرض ينبوع كي أتخلـــص مـــن قذارتي .

ابتسمت خجلا من كذبي.... أتحايل حـــتى علـــى الله ... ضحكت في هستيريا حتى ظننـــت أن عـــم حـــسين الأبلـــه سيسمعني....اختلطت قهقهتي بنهنهتي في البكاء ....بكيـــت

حتى ابتل صدري وابتلت الأرض من حولي.... وظننت أنني لو كنت أمتلك وعاء وجمعت دموعي فيه لاستطعت أن أتخلص من دنسي .....لا أستطيع أن أتذكر آخر مرة بكيت فيها .

كل ما أردته يا رب أن يهدهدني أحدهم في صغرى....أن يحتضني ولو لمرة وتمسح يده رأسي بحنو .... أن يحضر لي لعبة كالآخرين .

يااااااااااه ..... كم أنا متعب ... لا أعلم عند أية مرحلة من حياتي توقفت عندما رحت في سبات عميق وأنا أعيد شريط الذكريات .

قمت مفزوعا.... فعمود المياه المتدفقة كاد أن يخرج من فمي... أغلقت الصنبور مسرعا ...كانت المياه قد أغرقت كل شيء.... أخرجت ورقةً وقلما من جيبي ... سمعت صوت الباب رفعت بنطالي المبتل وأنهيت ما كنت أكتبه سريعا... وجدت عم حسين في وجهي يحمل لفة المناديل .

"الله .... !! بسم الله الرحمن الرحيم ....أنت دخلت إمتى يا أستاذ ؟"

دفعته بيدي جانبا وذهبت في طريقي .... دفعت باب رئيسي وأعطيته الورقة تنقط ماء على مكتبه وقد ضاعت معالم الحبر على الورقة .

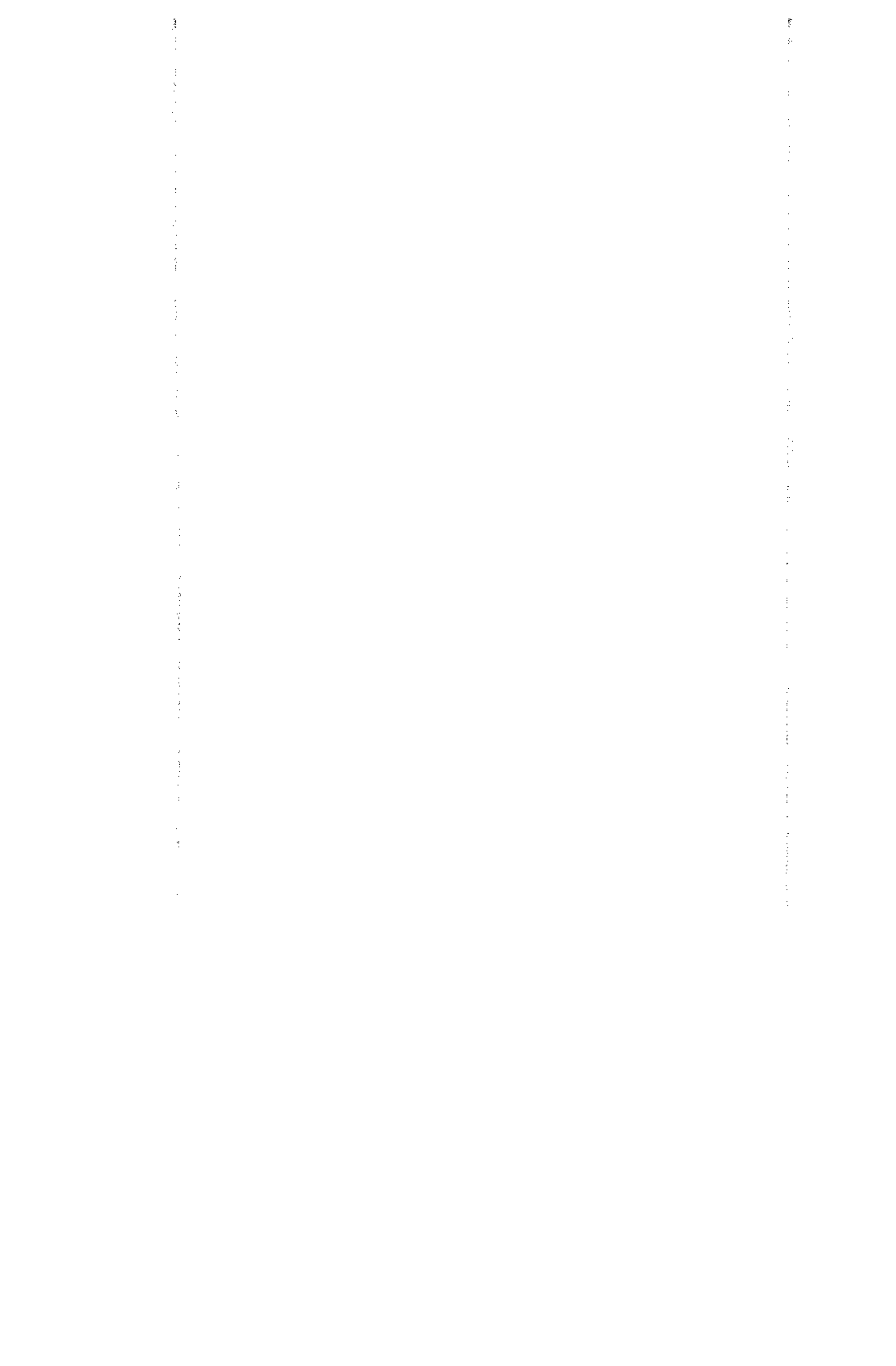
نظر إلى شذراً .... وتناول الورقة مني بإصبعين مشمئزا ثم أخبرني في تهكم .

" إيه ده يا أستاذ ؟"

" استـــــقالـــي"

استدرت وفي طريقي للخروج سألني أين أنـــت ذاهـــب ، فأخبرته دون أن ألتفت ......

" ذاهب للاستحمام " .



حظك اليوم



وسادة مزعجة ، كالعادة أقلقت نومه هي ودانات الهــواء التي يطلقها الشباك المكسور ، عشرات الأحلام والكــوابيس يراها كل ليلة والسبب كما تخبره الخالة نعمة كلما توجه إليها لتفسير حلم ... أنه ينام بلا غطاء ..فلا تــزال تــستجديه أن يشتري واحدا .

أحكم قبضة يديه حول الوسادة فكادت أن تلفظ ما فيهــا من قصاقيص ملونة من مختلف أنواع الأقمشة.. قطيفة ســوداء وستان بالأحمر القاني ، وصوف باللون الأزرق ، وقطعة حرير نادرة باللون القرمزي تئن ألما من كونها وسط الغوغاء .

كوّر قبضة يده اليمني التي يعلوها القشف وظــل يــضرب ويطعن في جسدها المترهل ... في نهاية الجولة سد بهــا فتحــة الشباك المكسور ليوقف أشعة الشمس عن تسويد جلده كــيلا ينعته أبناء الحارة كلما رأوه شوكلاتة .

لن ينسى أن يمر على الترزي بعد عمله يلملم قصاقيص جديدة علها تجعلها أكثر غضة ، ولن يسلم كالعادة من لسان عم فتحي الترزي الذي يخبره في كل مرة بتهكم .

" الناس بتحط قطن في المخدات "

فتح باب غرفته قاصدا الحمام المشترك بسقف المترل الذي يقطن به .

"مين اللي جوه "

" عمك أحمد "

" يوووه... مش هنخلص .. يلا يا عم أحمد ورانا شغل "

"يااااااه ... قطة سوداء.. انكشحي انكشحي "

فأل سيء هكذا يظن .

مرآة مكسورة .... يتطلع فيها إلى ذقنه الشعثاء التي تمتد حتى جفنيه ، أمسك جيدا بماكينة الحلاقة وظل يدفعها بعكس اتجاه الشعر... فيتساقط على الموقد وكنكة الشاي الصدئة والأكواب الممشحة... سقطت المرآة من يده على الأرض الخرسانية فانكسرت إلى أجزاء صغيرة غير متساوية... لملمها من على الأرض وهو حزين .. فإلى جانب كونه فأل سيء

سيضطر إلى أن يستجدي صاحب محل الزجاج المتغطرس كـــي يعطيه قطعة أخرى لا يحتاج إليها .

ارتدى ملابس العمل– زى الساعي – بـــاللون الأصـــفر الباهت ، وأزرار باللون الذهبي الذي لا يراه إلا في الكنكة التي يعد فيها القهوة وفي واجهات محــلات الـــذهب في شـــارع الصاغة، أغلق خلفه الباب ليس بإحكام فلا يوجد ما يخـــاف عليه ، جذب المنديل المعلق على أحد أحبـــال الغـــسيل الـــتي تعوقك من الوصول إلى الدرج مفرود القامة...تحسسه لـــيس مبتلا فحرارة الشمس كافية لإذابته... نزل الدرج برويـــة ... فمازال في الوقت متسع ... استقبل الحارة التي تعج بالحياة ".. شوكلاتة ..... شوكلاتة ..... شوكلاتة " .

* * *

"نهارك قشطة ..يا عم فرج .. إيه الأخبار النهارده؟"

" أهلا يا رزق يا بني .. الأخبار متسرش بس مش بايتـــة ، اشتريلك جرنال "

" نعم... آد ه..وريني كده .. بسم الله ..أيوه حظك اليوم"

لم يلتفت حتى إلى العناوين والمانشيتات باللون الأحمر .

" هو أنت يا بن القرطوس ...مفيش يوم تشتري فيه.. كل يوم تيجي تشوف حظك اليوم وتمشي "

" حلمك عليا بس ...بكره هقبض وأشتري واحد..أيوه برج الميزان"

بلغة طفولية متثاقلة فهو لا يمتلك نصيبا من التعليم سوى الابتدائية .

"اليوم أسوأ أيام حياتك تجاهك المتاعب ..!! خد يا عم أخبارك زفت كلها "

ظل يرددها وهو يسير هائما على وجهه (اليوم أسوأ أيام حياتك .. تجاهك المتاعب) .

" إذا سمحت حضرتك... لا مؤاخذه ...يعني إيه تجاهك"

" يعني تقابلك "

ترك البازلت الملتهب إلى أرض ترابية.. طريق مهجور لكنه مختصر إلى المصنع .. على جانبي الطريق تزداد كثافة الأشجار ...أرض ممهدة .. ناتئة في بعض الأماكن بجذور الأشجار الهاربة ... تعثرت قدمه .. فكاد أن يسقط... إلا أنه لم يعبأ لذلك ... فوجهه متجهم وملثم بأسباب كون يومه أسوأ أيام حياته ...

ذهب فكره إلى عم بدوي شيخ العمال بالمصنع .. أو ربما عم فتحي الترزي .. أو ذلك المتغطرس صاحب محل الزجاج .

" عم علي ...!! معقول ده راجل طيب ... ومش معقول ليه...!! دول شهرين إيجار "

وصل بشروده إلى أقارب من الدرجة السابعة وأشخاصٍ لم يقابلهم إلا مصادفة وأمواتا واراهم التراب ... جذب المنديل من على ياقته وراح يمسح جبينه المعروق، أسدل عينيه ونفث بشدة وقعت عيناه على بطة ميتة أو لعلها راقدة في منتصف الطريق.. عندما اقترب أدرك أنها ليست ببطة ... بل حقيبة من الجلد باللون البني الداكن متخمة بأشياء بداخلها ومفتوحة .

فتح عينيه عن آخرهما وأردف قائلا :

" إيه ده.... فلوس!! "

تلفت حوله ... لابد أن لها صاحبا هنا أو هناك ... لكن ما من أحد على بعد أميال .. جلس على الأرض ..أمسك بدفعة من النقود بيديه المرتجفتين ... ليست لها سابقة أن تمس يده ورقة واحدة من فئة المئتي جنيه التي يصعب عليك غلق الحقيبة المكتنزة بها .

تلعثم قائلا " دول ...دول يجو عشرميت ألف جنيه "

وضع الرزمة على أنفه المعقوف وتنشقها بقـــوة كمـــدمن محترف ... راح يحلم بأوزة مشوية... وحمام مستقل بغرفته .. وماكينة حلاقة بالكهرباء... وبالطبع وسادة من ريش النعام .

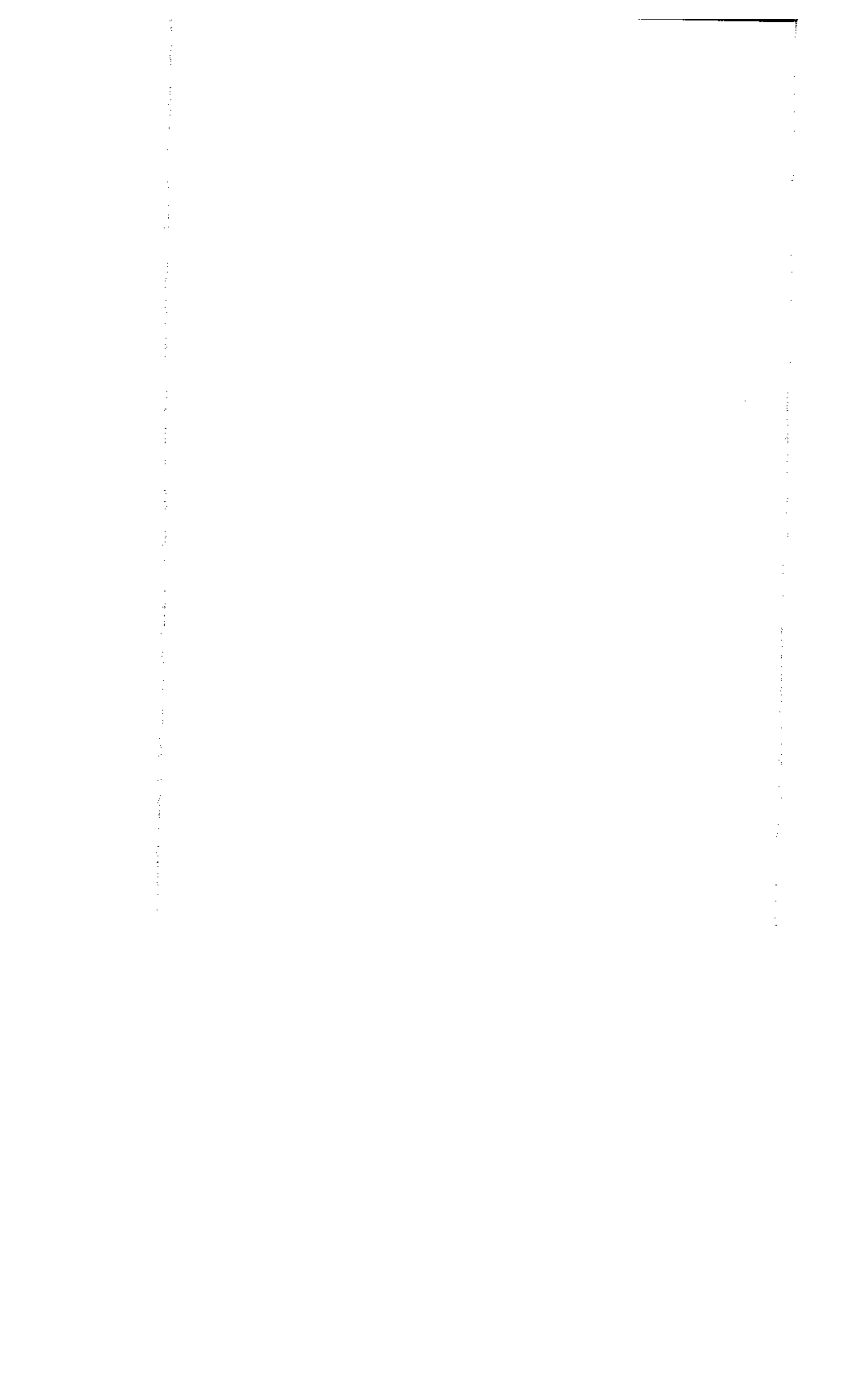
جذب الحقيبة وضمها إلى صدره كأم تضم مولودها الوحيد الذي نجا منذ برهة من موت محقق .

كان ما يزال داخله يردد الجملة التي ظل دهـــرا يرددهـــا فخرجت إحداها بغتة على لسانه .

" اليوم أسوأ أيام حياتك ... تجاهك المتاعب "

حدق في الحقيبة التي بيديه طويلا ... حملـــها ونهـــض .. وضعها جانبا وأكمل الطريق إلى المصنع .

زوجتي



آآآآه ه ه ه......يا إلهي ما هذا السوار الحديـــدي حـــول عنقي ؟...أكاد أختنق....إنه يزداد ضيقا .

"سااااعدوني" حاولت بكل ما أوتيت من جهد أن أفتحـــه .... لكنه شديد الإحكام حول رقبتي ...بالكاد أتـــنفس ... سأموت في الحال فلن يصل أحد لمساعدتي فلا شيء في الأفـــق سوى قارورة زجاجية بها بعض الرمال ... أظنها ساعة رملية .

"ســـــــــ ســــــــاعدووني "

"آآآآه ه ه ه "

قمت من نومي معروق الجـــبين ...أنفاســـي المتـــسارعة وصرختي أيقظت زوجتي العاقر عن عمد إلى جواري ... أشعر بغصة في حلقي ... تحسست رقبتي أسراب من النمل تمـــشي تحت جلدي.

غمغمت وهي نائمة دون أن تلتفت إلي :

"نفس الكابوس...نام بقي وريحني..!!"

أصبحت أخشى النوم ، كالبئر تخشى النظر في قلبها مخافة السقوط فيها ... لم يستطع أحد إلى الآن تفسيره لا الشيوخ ولا العرافين ولا حتى الطبيب النفسي الذي توجهت إليه بعد أن أغلقت أمامي كل الدروب .. كل ما استطاع أن يخبرني به هو أنني لو استطعت التخلص في أحد المرات من الطوق الحديدي الذي يحيط برقبتي في الكابوس...فلن يعاودني الكابوس مرة أخرى للأبد .

"كو....كوباية ميـة" خرجت مع صوتي المبحوح والمنهك...أردفت قائلة وهي تضغط على مخارج الحروف في حنق .

" قم هات لنفسك.... إنت مش عيل... مش كفاية كل يوم تقلقني وأنا نايمة...دي عيشه تقصر العمر "

الثالثة صباحا تشير ساعة الحائط...انتظم صوت شخيرها من جديد ... قمت فأطفأت ظمئي وظمأ جسدي ... صليت ركعتين وعدت إلى الفراش ... مازال دافئا... غالبني النعاس

وعيني معلقة على الإطار الذهبي مخطوط بداخله قول الله " إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب " .

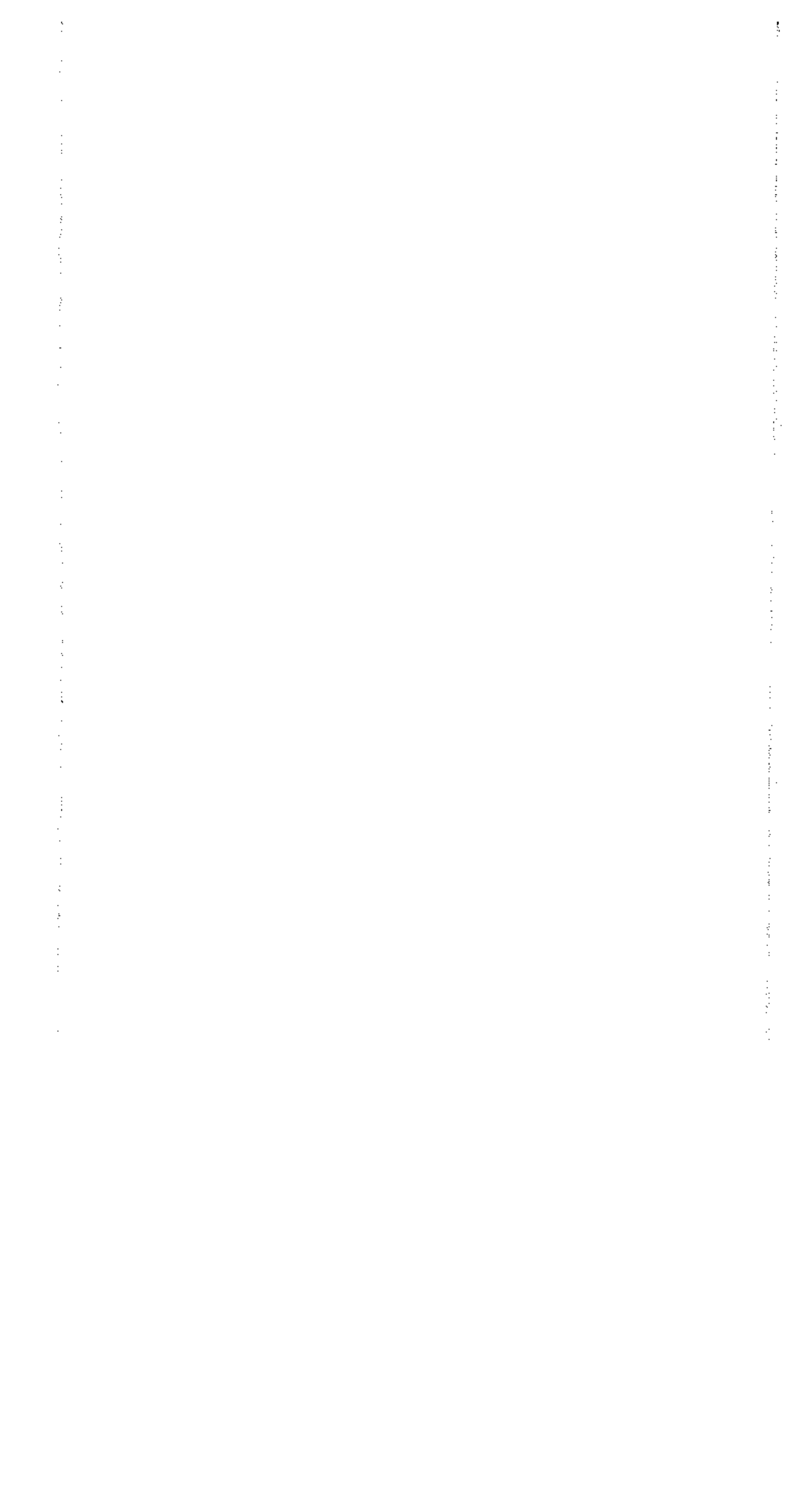
ثقلت عيني فلم أقرأ آية الكرسي والمعوذتين كما اعتدت أن أفعل .

يشبه إلى حد كبير الطوق الذي ترتديه الكلاب في الأفلام الكارتونية ... إلا أنني أعتقد أنه أكثر إيلاما ... ويزداد ضيقا بمرور الوقت إلى جانب أنه يمنع دخول الهواء إلى رئتي ...يا إلهي عاودني الكابوس من جديد .

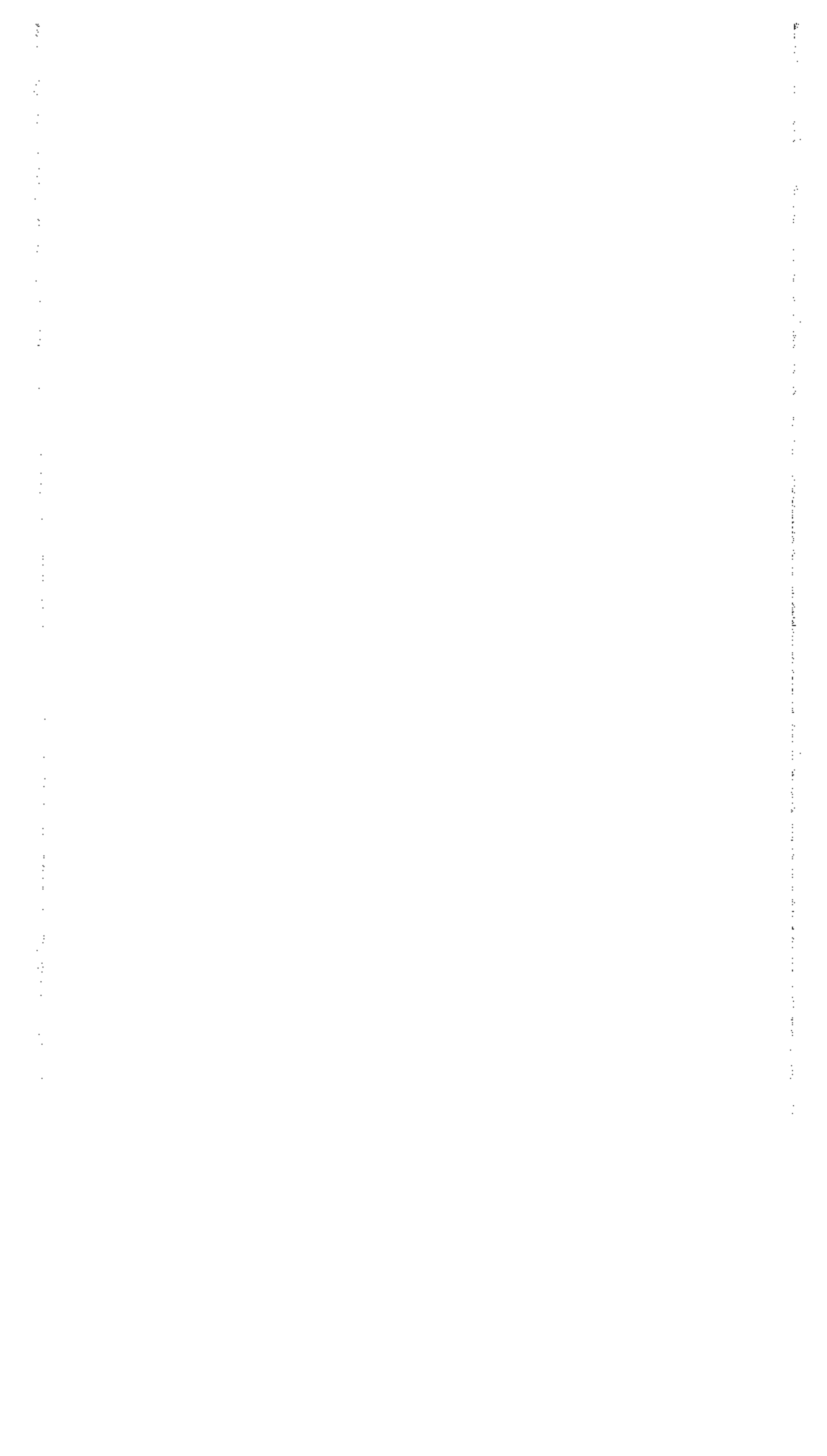
وقع بصري قدرا على الساعة الرملية فوجدتها قد نفدت آخر ما بها من حبات الرمل .... ثم كانت المفاجأة انفك الإطار الحديدي... أكاد لا أصدق أنه الآن في يدي ... وكلاعب قرص محترف ألقيت به بكل ما أوتيت من قوة ...حتى أن يدي تحركت وأنا نائم ...فاستيقظت على أثرها منتشيا أردد أذان الفجر .

ضحكة صاخبة هستيرية أطلقتها... وراحة نفسيه لم أنعم بها لمدة ست سنوات تاريخ ما بدأ يأتيني الكابوس .

أوقظ زوجتي كي أخبرها أنني أخيرا تخلصت من الطوق الحديدي ... فوجدتها قد فارقت الحياة .



بعد الصمت



ذابت ... ذابت شمس الغروب فوق مياه بحيرتي التي لا موج لها ... تركتني وحيدا على شاطئ الحرمان ... !

وبعد غروب الشمس ... وتحت السماء القاتمة بزغت مشاعر الخوف !!

طمأنت نفسي بأن النور لن ينقشع بغياب الشمس ... فهناك القمر .

مرت الأوقات ببطء وأنا أنتظر وكأن عجوزا سقيمة هي من تدفع عقارب الساعة !

فلا شك أن الانتظار قاتلي ... والوحدة خنجره ... وظلام الليل هو مثواي الأخير !

نظرت إلى السماء باحثا عن الأمل خلف سحب القنوط... أفتش عنه فوق صفحات المياه الداكنـــة ... خلـــف حفيـــف الأشجار المتأوه !

وفجأة ... ! اعترتني رعشة سرت في جسدي كله !

ابتلعت لعابي المر بعد أن تاه سواد عـــيني في ســـواد تلـــك الليلة... لعلها ... ليلة غير قمرية ؟؟ سؤال هيج مـــشاعري.. ملك علي فكري ... حاولت بعدها أن أمسك بدفة أفكـــاري لأغير تلك الفكرة ...

ولكن لـــم ؟!! شردت قليلا .

نسمة هواء عليل أطفأت حر صدري ...

أخذت بعدها نفسا عميقا وأنا مغمض العيـــنين ... نفـــسا أخرجت مع زفيره ذلك الخوف السجين في جوفي ... وتلـــك السلبية التي نسجت خيوطها لسنوات حول قلبي .

وتساءلت ... لماذا لا أدير الدفة ؟!! ألملم أشرعة اليـــأس !! وأرفع رايات الأمل لأبحر ولأول مرة في حياتي ضـــد ريـــاح الفشل !! ضد أمواج الألم ألاطمها وتلاطمني ..!

الآن فقط حـــان الوقت ومن هنا البداية ...

إذن قلت لي " مـــــاذا تنتظـــــر ؟؟؟ "

" أنتظر القمـــــــــر "

" وإن لم يكن هناك قمر " ..

" وإن كان هناك قمر " ...

" يا عزيزي أليس نور القمر هو من ضياء الشمس ؟ ".

وفي ألم دفين ... انفرجت الأسارير ... فابتـــسمت ....!
فضحكت ....! فقهقهت ....! ثم بكيت ....! فانتحبت..!

الآن فقط فهمت ...!

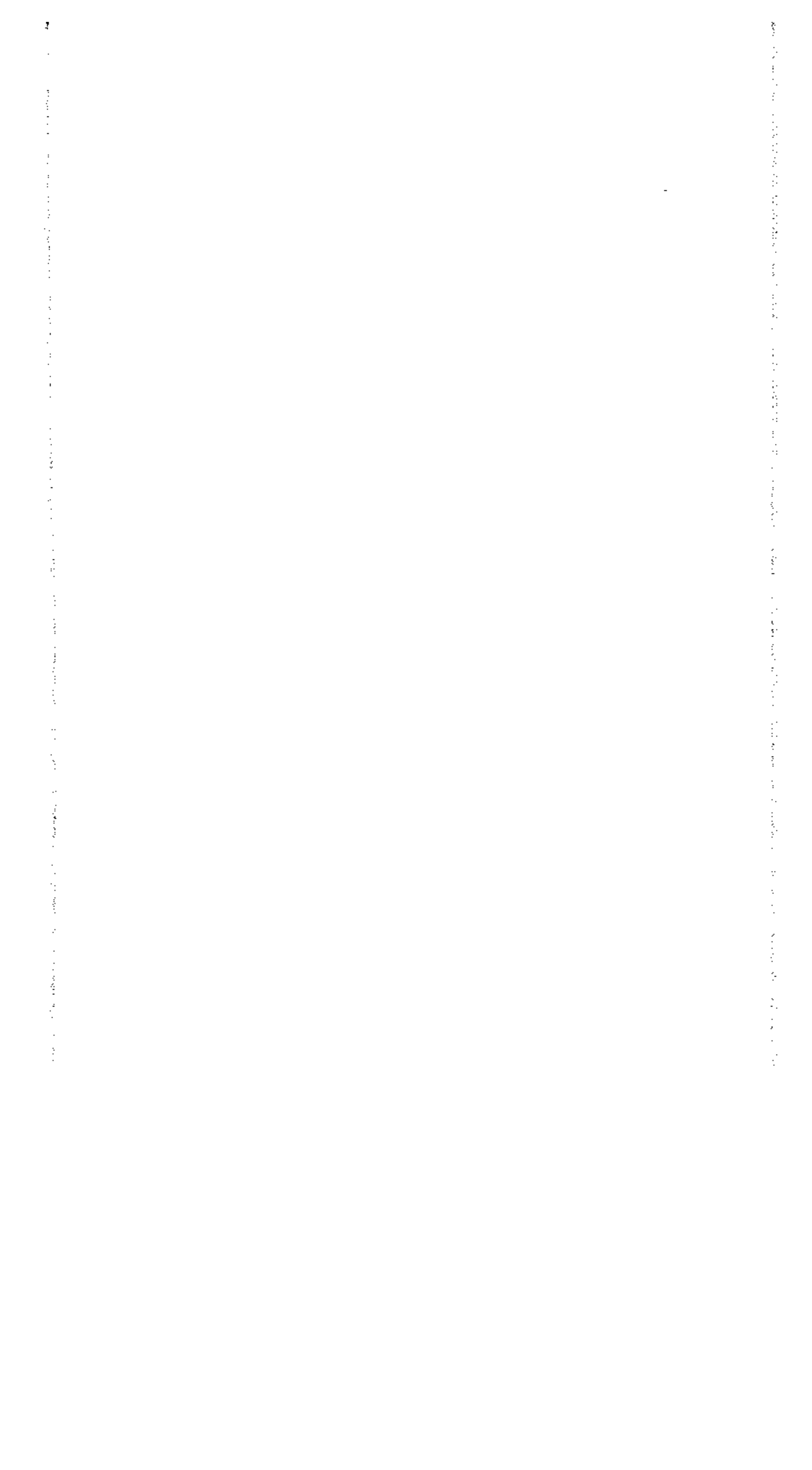
جففت دموعي بمنديل الصبر ... وقفت على أقدام الهمة...
وشددت على أعضائي بعزائم الرجال .

نظرت إلى السماء ... أشرقت الشمس .





الصندوق الطائر



" اركبوا .... بسرعة يلا .... هنطير ونسيبكم "

صندوق خشبي قابع على سقف الجيران.... متوسط الحجم بثلاثة أضلع ... يتسع بالكاد لأربعة أجساد هزيلة هي كل إرثنا في هذه الحياة .

أختي وابنة الجيران للداخل حتى لا يسقطا ، وأنا وابن الجيران الذي لتوه ترك عودا للحطب كان يمتطيه للخارج ليكتمل العدد ... تلاصقت الأجساد بقوة فالصندوق يكاد يلفظنا .

" ادخل جوه شوية لتقع "

" متخافيش عليا أنا راجل "

"هه.... مستعدين... هخلي الصندوق ده يطير بينا في السما .... وهأكلكم من الحلبسة اللي فوق في السما دي "

أشرت بيدي المعروقة إلى السحاب ثم أردفت قائلا :

"هه .... امسكوا كويس... أنا هعد لغاية تلاتة وبعـــدها هنطير "

بلغة متثاقلة " واحد .... اتنين...!!"

التصقت الأجساد بقوة في الصندوق الخشبي .

" استنى ... استنى "

قالتها ابنة الجيران وهي ترتجف بقوة .

" يووووه.... مش هنخلص"

" إنت هتعرف تنـــزلنا تاني "

" مش مصدقة انزلي ... يلا انزلي متعطلينيش "

"لأ ...لأ..... خلاص معلش "

"لأ .... هتنـــزلي بقى..!!"

تستعطفني أختي ويستجديني ابن الجيران... فوافقت بعـــد غلبة .

أردفت قائلا في كبرياء الملوك :

"خلاص .. بس تسمعي كلامي ... أنا هنا الـــسواق ... هه.. مستعدين ؟ "

لم يتسرب الشك قط إلى قلبي في قدرة الصندوق على التحليق في السماء المترامية الأطراف... على أقل تقدير نطير لنرى العمود الذي يمسك السماء فلا تقع ثم نعود قبل الغروب....

"واحد... اتنين.... اتنين ونص...اتنين وتلات تربع.... تلاتة إلا عشره .... تلاته إلا خمسه "

تلاقت الأصوات المرتعشة " متخلص بقي "

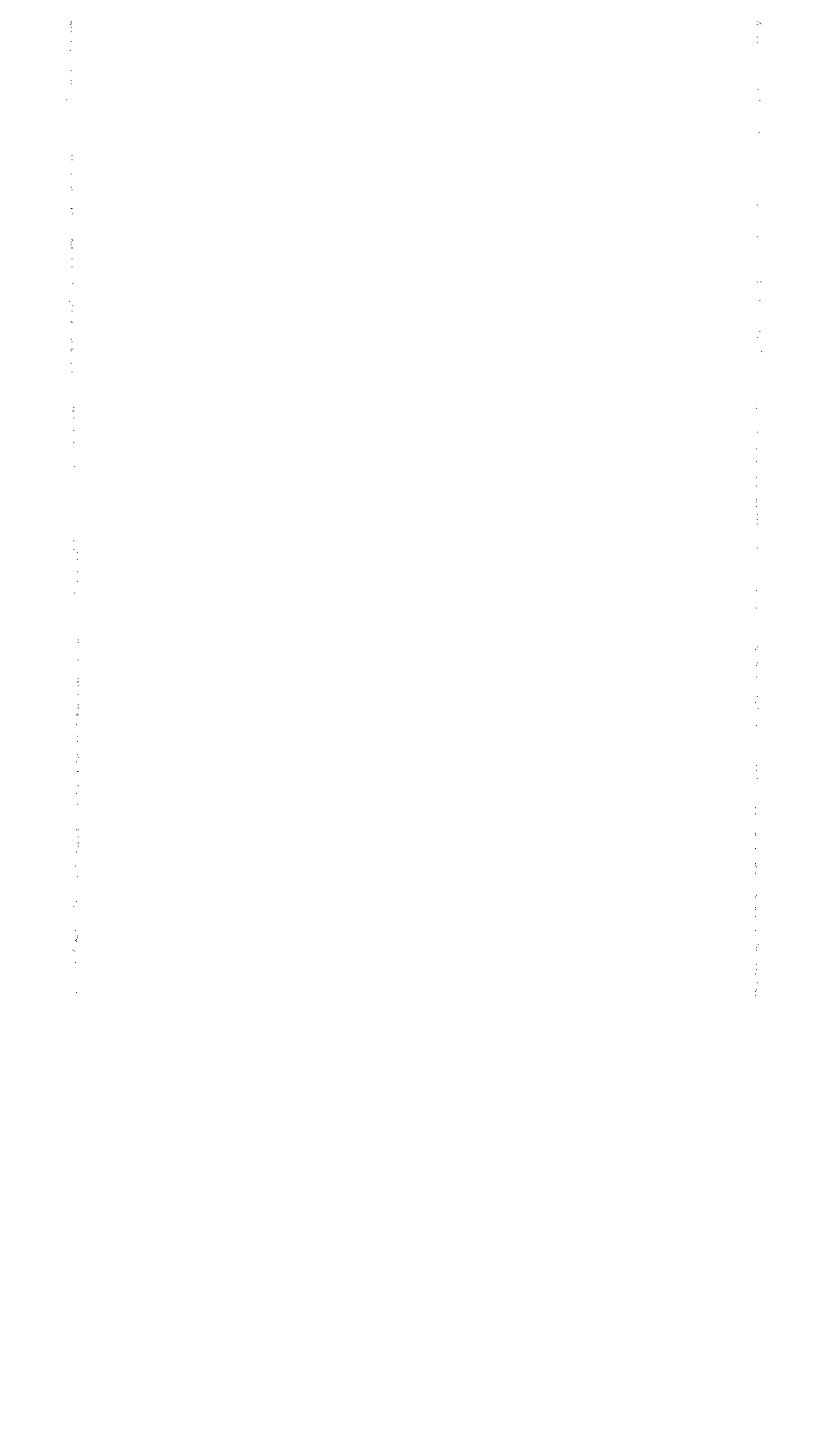
" تلاتـــــــــــه"

" آآآآ ه ه ه.....آآآآ ه ه ه ه "

عيون مغمضة... صرخات مختلفة... وأيادي امتزجت لتتشبث بملابسي بقوة ... لكن الصندوق لم يطر قط .



لهيب الثلج



كعادتها جلست بالقرب من شرفتها تراقب الشمس وهي تلملم خيوطها لتنسجها فوق أرض أخرى.

رشفت من فنجان القهوة وتطلعت مرة أخرى إلى الشفق الأحمر وهو يذوب وسط السماء، لمعت عيناها بدموع تساقطت عابرة هذين الأخدودين الأسودين بخداها والذين خلفتهما أنهار من الدموع ومستقرة على ثوبها الرمادي، أما هي فصامتة لا تحرك حتى سواد عينها الحمراء... غير عابئة بتلك الدموع الحارة.

رشفت مرة أخرى من الفنجان ...ثم تركته على المنضدة وعادت بظهرها سريعا لتستند إلي ظهر الكرسي الهزاز الذي تجلس عليه ليبدأ في التأرجح..... قامت من جلستها تاركة كل من الكرسي ليعاود التأرجح مداعبا الخيوط الذهبية الباقية

للشمس الراحلة وفنجان القهوة تتعالى فوقه الأبخرة ... فتحت دولابها العتيق وأخرجت صندوقا خشبيًا صغيرًا، جلست على سريرها وهي تفتحه بهدوء وأخرجت منه وردة حمراء ذابلة وورقة قديمة تميل إلى الصفرة ضمتها إلى صدرها وتنشقت رائحتها ثم بدأت في قراءتها:

بسم الله الرحمن الرحيم

مخطوبتي ليلي / بعد التحية والسلام.

لكم أشتاق إلى اليوم الذي تصبحين فيه زوجتي، لا أعرف كيف أعبر عما يعتمل في صدري، ولكن عزائي هو أنك تشعرين بي، وتعلمين كيف أحبك.

في الأسبوع القادم سنأتي أنا والعائلة لنحدد موعد الزفاف.

حبيبتي كوني حذرة هذه الأيام .... كم أتمنى أن تنتهي هذه الحروب اللعينة في الصحراء الشرقية.

زوجك المستقبلي

باسل المقدامي

انتهت من القراءة وقد أغرقت ذلك الخطـاب بـدموعها الحارة، تذكرت وهو يعطيها هذا الخطـاب منـذ عـشرين عاما..وأخبرها أنه ذاهب لشراء علبة علكة ولن يتأخر.

لكنه تأخر كثيرا، عشرون عاما ولا أخبار عنه، بحثوا عنـه في كل مكان في المستشفيات وفي أقسام الشرطة... لم يتركـوا شبرًا من أرض المغرب.

تحجرت الدموع في عينها قلـيلا ثم عـادت للانهمـار... تذكرت العشرين عامًا يومًا بيوم ولحظة بلحظـة، تـذكرت عشرات الرجال ممن تقدموا لخطبتها وهي رافضة، أملا أن يعود حبيبها في يوم من الأيام.

"الفراق والبعد بارد جدا كالثلج... ومع ذلـك يحـرق في القلب كاللهيب" تمتمت بها ليلى

فبشرتها الغضة قد زحفت عليها آثـار الـسنين، شـعرها الحريري الناعم تلونت بعض شعيراته باللون الأبيض.

جففت دموعها هذه المـرة... أعـادت الـشكمجية إلى الدولاب العتيق، وخرجت لتجلس بجوار والدتها التي رمقتـها بنظرة أمومية مشفقة.

قامت الوالدة بفتح التلفاز أملا في أن يخرج ابنتها من همهـــا التي حاولت طوال العشرين عاما المنقضية أن تخرجه منـــها و لم تفلح.

"مرحبا بكم... نشرة الأخبار".

خبر عاجل... قامت جماعة البلوساريو بالإفراج عن مجموعة من الأسرى ...تتفاوت السنوات التي قضوها في الأسر ما بين خمس إلى أربع وعشرين سنة.

لعله من بينهم.... هكذا أقنعت نفسها فلا شيء تعيش من أجله سوى الأمل.

دخلت غرفتها من جديد، أوصدت بابها وأسندت ظهرها على الباب وأغمضت عينها...

في اليوم التالي دق جرس الباب.

أمسك الحاج زكريا المقبض وفتح الباب بكل هدوء وليلى تراقب من خلف باب غرفتها

" أهلا أهلا...... عم زكريا وحشتوني جدًا".

"إنت مين يا ابني؟".

"أنا باسل يا عمي .... نعم أنا هو بشحمه ولحمه".

"باسل.." اندفع نحوه الحاج زكريا وعانقه عناقا حارًا.

" عذرا يا بني الفرحة نستني .... اتفضل اتفضل".

وانهمرت الدموع من جديد ولكنها هذه المرة كانت دموع الفرح.

أوصدت ليلى باب غرفتها وظلت ترقص فرحـــة وعـــادت وكأنها ابنة العشرين من جديد

"يا رب ما يكون حلم .... يا رب ما يكون حلم".

دخلت والدتها عليها وأخبرتها بكل الفرح الذي ادخرته لمدة عشرين عامًا.

" إنه هو ... باسل يا بنتي ... ليس حلما صدقيني".

"يا عم زكريا ... أنا طالب يد ابنتك... موافق؟".

ضحكة مدوية كانت قد غابت عن ذلك الوجه لسنوات.

"طبعا موافق".

" الفرح الخميس القادم".

" موافق".

"أنا أحضرت معي الشبكة".

أخرج باسل العلبة القطيفة الحمراء من شنطة يده قائلا:

"أود أن تكون العروس أول من تراها".

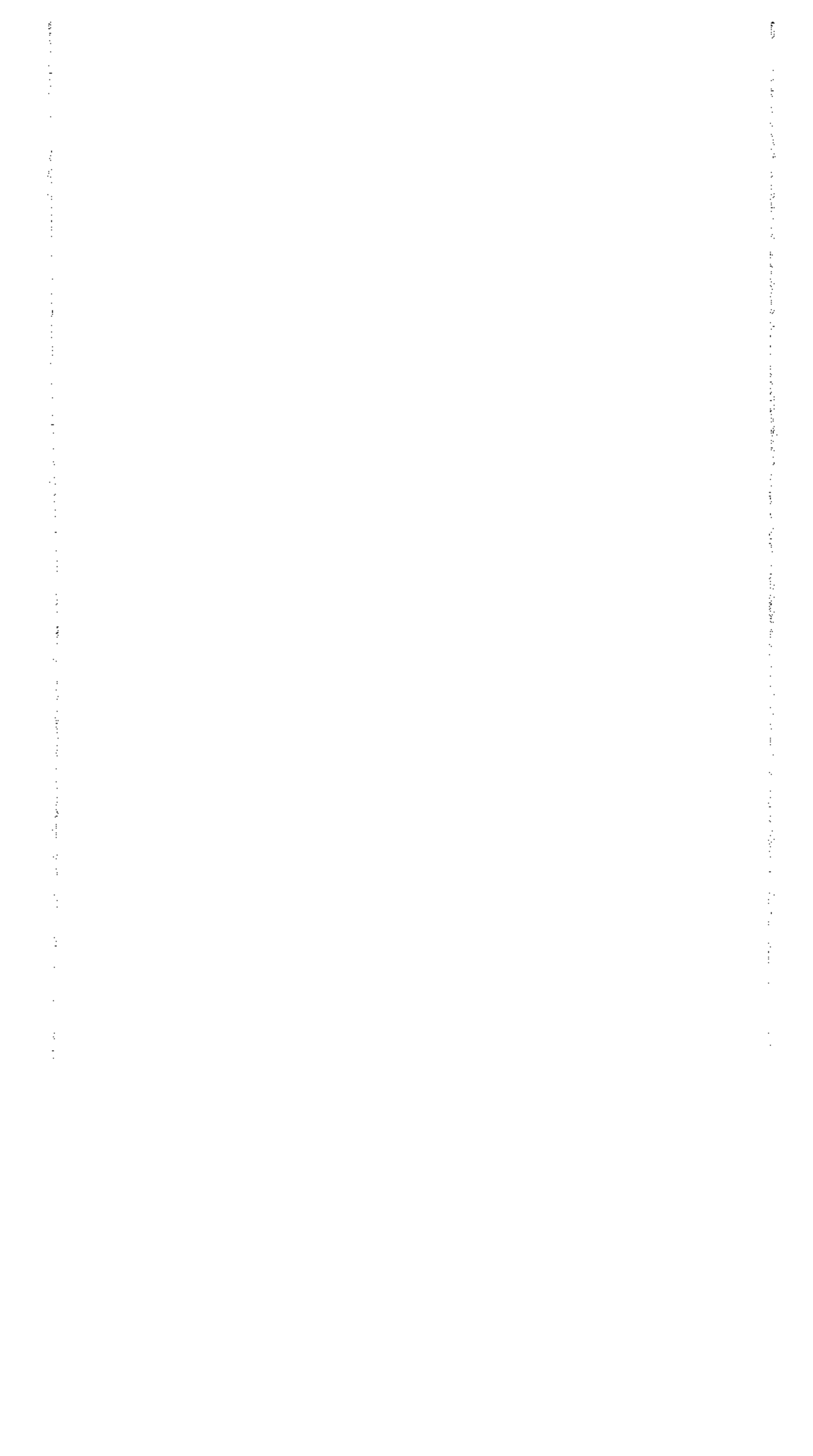
"يا أم ليلى.... خدي وري بنتك الشبكة".

جاءت الأم مسرعة واختفت التجاعيد التي تركتها آثار السنين.

دخلت على ابنتها التي كانت تقف أمام المرآة تصفف شعرها... أعطتها والدها العلبة، ضمتها ليلى إلى صدرها باشتياقها إليها عشرون عاما تنهدت ثم جلست على السرير وبجوارها والدها وبدأت في فتحها.

عقد وقرط وخاتمان وأسورتان وعلبة العلكة.

بيد أنني



كجزء أصيل في حياتي لا يتجزأ .... أصـــبحت مملكتــــهم الخاصة تيمة يومية...أجلس بجوار قبر جدتي ... أبي ... صديق عمري .. ابنة الجيران أتسامر معهم وأحكي لهم عن أحلامـــي وهمومي وتفاصيلي اليومية....فقط كل ما أتمناه أن ألقاهم لمرة واحدة لأودعهم.... أحتضنهم لآخر مـــرة... وأطبـــع علـــى جباههم قبلة فاتتني وهم أحياء... وأخبرهم كم كنت أحبهم.. وكم أنا نادم لأني لم أخبرهم بذلك مـــن قبـــل... ثم أعـــود أدراجي من جديد .

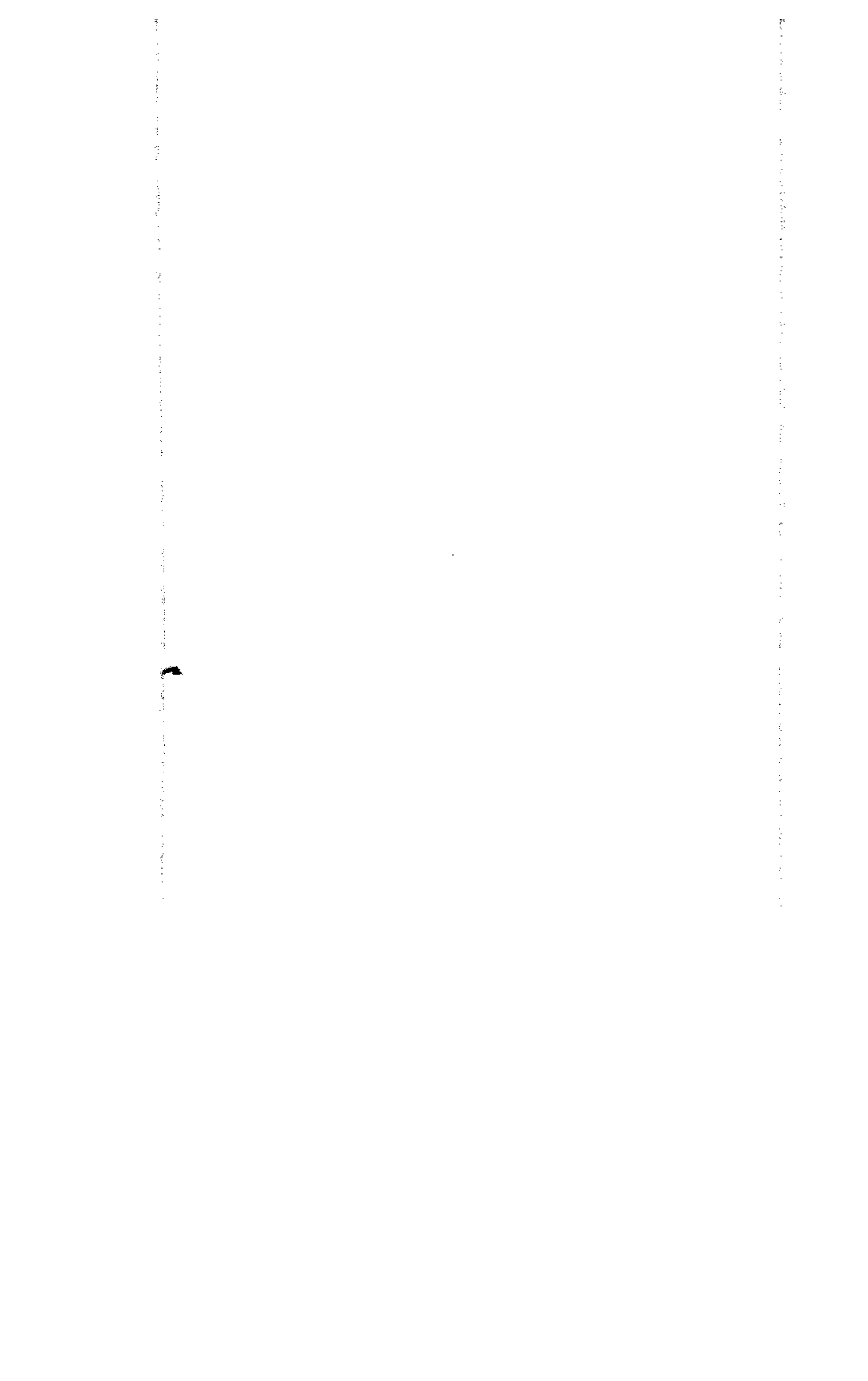
ذلك الضوء الخافت الذي يـــريح عـــيني في نهايـــة النفـــق المظلم... لا أعلم مصدره... تتشبث ابنة الجيران بملابسي بقوة كما كانت تفعل في سابق عهدها... تمسح شعر رأســـي يـــد جدتي الحانية...يربت أبي على كتفي ... يلكزني رفيقي كمـــا

كان يفعل في الأيام الخوالي... احتضنتهم بقوة ونحـــت علـــى جباههم القبلات... وأخبرتهم كم كنت أحبهم .... بيد أنـــني لم أستطع العودة .

البندول

نظرت في الساعة تشير عقاربها إلى تمام الرابعة فجـــرا .... تطلعت إلى الأفق من شرفتي ... مللت تأرجح الكرسي الهـــزاز الذي أجلس عليه ، وأجهدتني الشمس بأشعتها الماسية فنظرت في الساعة الثالثة ظهرا ... قمت من جلستي أوزع نظراتي على الأفق من جديد ... لسعني البرد والهم فنظرت في الساعة مجددا ... فوجدتني في الستين من العمر .

نقطة ماء



طق طق طق ....توالت قطرات الماء في السقوط من الصنبور على السطح الأملس لتلك الصخرة الكبيرة الرابضة أمام ذلك الهيكل الخرساني والذي سوف يصبح بجهودي وحدي قصرا كعشرات الأبنية السابقة.... أحكم غلق الصنبور...أرفع يدي...طق طق طق .

المحتويات

السيرة الذاتية للكاتب

- محمود عبد الوهاب محمود عبد الله بدوي .
- ليسانس آداب – جامعة الزقازيق .
- حاصل على دورة من أكاديمية الفنون (المعهد العالي للفنون المسرحية) شعبة تمثيل وإخراج – قسم الدراسات الحرة .

الجوائز التي حصل عليها :

- حاصل على المركز الأول بمسابقة القصة القصيرة بجامعة الزقازيق عام ٢٠٠٥/٢٠٠٦ عن قصته (العلبة) .
- حاصل على المركز الأول بمسابقة القصة القصيرة بجامعة الزقازيق عام ٢٠٠٦ / ٢٠٠٧ عن قصته (محطة انتظار) .
- حاصل على المركز الثاني (الميدالية الفضية) باللقاء الثقافي الخامس للجامعات عن قصته (لا ... ليس بأبيض) .
- حاصل على المركز الثالث (الميدالية البرونزية) بأسبوع شباب الجامعات الثامن عن قصته (سيد هارتا) .
- حاصل على المركز الخامس عن قصته باللقاء الثقافي السادس للجامعات (إسهال) .
- له أعمال منشورة في بعض الصحف والمجلات المصرية .